مقدمة

إن تحديد مفهوم التاريخ بصورة واضحة وشاملة أمر مهم، ذلك لأن فكرة التاريخ وطبيعته لها دلالات مهمة، فمن خلال توضيح مضمون فكرة التاريخ بكل أبعادها يمكننا أن نستخلص قيمة هذه المادة وفوائدها، حيث تناولت كثير من الكتابات القديمة والحديثة مفهوم التاريخ وعالجته من زوايا ومنطلقات مختلفة.

وعلى مر العصور تغيرت تعريفات جوهر التاريخ، لكن البحث عن هذا الجوهر لم يهدأ لحد الساعة نظرا لتعدد واختلاف من يفسرونه، فهو الصراع بين مدينة الله ومدينة الإنسان عند القديس "أوغسطين"، وهو الصراع بين الرسل والملوك عند الطبري، وهو العمران عند ابن خلدون، وهو الطبقة عند "كارل ماركس"، وهو الروح عند "هيجل"...

أولا: تعريف التاريخ

01- لغة: يرجع البعض كلمة "تاريخ" إلى أصول غير عربية، فمنهم من يراها من الأصل العبري "ياريح" والتي معناها القمر، أو من "يرِحَ" ومعناها الشهر، فيكون بذلك مفهوم التاريخ : تحديد الشهر أو التوقيت، ومنهم من أرجعها إلى الأصل الأكدي "أرخو"، والراجح عند المحققين والمؤرخين أنها ذات أصل عربي مأخوذة من الفعل "أَرَخَ" والذي له تصريفان:

أ- أرَخ، يأرخ، أروخًا بمعنى حنَّ.

ب- أرخ، يأرخ، أرْخًا بمعنى بين الوقت.

يقال أرَخَ الكتاب أي بين وقته.

وأرَّخ الكتاب أي حدد تاريخه.

02- اصطلاحا: يطلق التاريخ تارة على الماضي البشري ذاته، وتارة على العلم المعني بهذا الموضوع، وهذا الاشتراك حاصل حتى في اللغات الأجنبية، فكلمة History الإنجليزية وكلمة Histoire الفرنسية كلاهما تدلان على الماضي البشري وعلى علم التاريخ أيضا، وقد أطلق العرب لفظة تاريخ على كتب التراجم كما في تاريخ البخاري الذي هو تراجم لرواة الحديث فقط.

إن أبا التاريخ "هيرودوت" (480- 425 ق.م) عرف التاريخ في مقدمة أعماله التاريخية بالقول بأنه: "كَتْبُ ما كُتِب للحيلولة دون زوال الأحداث من الذاكرة"، فعملية تسجيل الأحداث لكي لا تنسى أو تمحى من الذاكرة هي لب التاريخ ذاته.

لقد ذهب عبد الرحمن بن خلدون (1332- 1406 م) بعيدا في تعريف التاريخ وشكل منعطفا جديدا في كتابة وفهم التاريخ عندما عرفه على الوجه التالي: "فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو لمعرفته السوقة والأغفال...، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن إخبارٍ عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى... وفي باطنه نظرٌ وتحقيق، وتعليلٌ دقيقٌ للكائنات ومبادئها، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقٌ، فهو لذلك أصيلٌ في الحكمة عريقٌ، وجديرٌ بأن يعد في علومها وخليقٌ...، أَعلمُ أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم وأخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، وحتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهمٌ محتاجٌ إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن النظر وتثبت يُفْضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبّان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تُحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ولا قِيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثير ما وقع للمؤرخين وأيمة النقل من المغالط والحكايات والوقائع لاعتمادهم على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوا على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فظلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".

ثانيا: علم التاريخ:

هو علم يبحث فيه عن حوادث البشر في الزمن الماضي، فموضوعه إذا هو حوادث البشر في الزمن الماضي، وغايته المعرفة بتلك الحوادث وبأزمانها وأماكن وقوعها وبأسبابها ونتائجها.

يتكون هذا العلم من:

1- تحديد الزمن أو الوقت.

2- سجل لخبرات الإنسان الشاملة عبر العصور المتعاقدة.

3- عملية البحث والاستقصاء على سجل الخبرات.

ثالثا: فوائد التاريخ:

تعددت فوائده ونذكر منها:

- معرفة العوامل الأولية التي كانت سببا في المظاهر القومية الكبرى.
- التاريخ دروس ينتفع بها وليس قصصا للتسلية.
- فهم العوامل التي أدت إلى المدنية والسعادة الحاضرة لتستنير البصائر ولتأخذ في طرق العمل الحقيقي للوصول إلى المجد القومي متعظين بأخبار من سبقونا من الامم.
- بيان فضائل الشعوب والأفراد وما أدى إليه العمل بتلك الفضائل.
- محاولة الوصول إلى" **أن الأمة التي لا تعرف تاريخها في ماضيها، لا تدرك حقيقة حاضرها، ولا تملك الاستعداد لمستقبلها، لأن التاريخ بالنسبة للأمم كالضمير الحي، ولأن الفرد إذا فقد وجدانه حصر حياته في الحاضر**".
- يُعين التاريخ على إلقاء نظرة على سير الامة وأهم أحداثها وأخبار أعظم رجالها.
- تحديد الزمن والحقب طولا وقصرا.
- دراسة الخبرات عبر العصور المختلفة من حيث أسبابها وأساليب تطورها ونتائجها، تمكن الدارسة الفرد من استنباط مفاهيم وقيم ينتفع بها في حياته الحاضرة ويتزود بها في مسيرته نحو المستقبل.
- إن عملية البحث التي يتطلبها التاريخ تنمي في المتعلم مهارات الاستقصاء والفحص وسائر المهارات التفكيرية والتي تستهدف الوصول إلى الحقيقة.
- التاريخ ينفع في العظة والعبرة، فنحن ندرس تواريخ الدول والملوك لنتعلم، وندرس سير الأنبياء لنتأسى بهم، وندرس تجارب الأمم ونرى ما وقعت فيه من الأخطاء لننجو بأنفسنا عن المزلات ومواطن الضرر.
- يرى السخاوي بأن التاريخ علم فرعي مساعد لعلم الحديث، وجعل مرتبته الكبرى في تحقيق سنوات ميلاد الرواة ووفاتهم حتى تتأكد من إمكان لقاء بعضهم ببعض، ورواية بعضهم عن بعض، يقول في ذلك سفيان الثوري "**لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ**".

– يقول العز الكناني الحنبلي: "**لا شك في جلالة علم التاريخ، وعظم موقعه من الدين وشدة الحاجة الشرعية إليه لأن الأحكام الاعتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من كلام الهادي من الضلالة والمبصر من العمى والجهالة، والنقلة لذلك هم الواسطة بيننا وبينه، فوجب البحث عنهم والفحص عن أحوالهم، وهذا أمر مجمع عليه، والعلم المتكفل بذلك هو التاريخ، ولهذا قيل هو من فروض الكفاية**".

رابعا: العلوم المساعدة

لابد للمؤرخ المدقق من ولوج أبواب أخرى حتى يتمكن من الوصول إلى الحقيقة، وإذا أراد ذلك فإنه يشعر بحاجته إلى ما يسمى بالعلوم الموصلة إلى الحقيقة (المساعدة)، فقد أجمع الباحثون على ذلك، ولما كانت أصول تاريخ العرب في النصف الأول من القرن 19م ترد في اللغات: العربية، التركية، الفرنسية، الانجليزية، الالمانية، الإيطالية، البولونية، والروسية، فقد أسرع المؤرخون إلى التقاط ما ينقصهم منها، وكم كان بإمكانهم أن يتعلموها كي لا تكون الاستنتاجات موقوفة على مقدرة المترجمين من هذه اللغات.

إذا يحتاج المؤرخ في أبحاثه إلى بعض العلوم المساعدة التي تسهل له فهم حركة التاريخ وتبين مساراته، ومن أهمها نذكر ما يلي:

1– اللغة: يجب على المؤرخ أن يكون ملما باللغات أولها اللغة العربية إضافة إلى اللغات المعتمدة في أبحاثه، وكلما كان الباحث ملما بأكثر من لغة أجنبية كلما كان قادرا بشكل أفضل على خدمة أبحاثه ودراساته.

2– فقه اللغة: أي دلالة الألفاظ في العصر المدروس، لأن هناك معان عديدة للكلمات في اللغة، كما أن الكلمة (المصطلح) في مرحلة تاريخية معينة قد تؤدي معنى آخر في مرحلة أخرى، ويتأتى ذلك في إعداد معاجم.

3– علم اللغة: أي دراسة اللغة في حد ذاتها ومن أجل ذاتها من نحو وصرف وعلم المعاني وعلم البيان والبديع.

4– علم قراءة الخطوط: على المؤرخ أن يكون عالما بالخطوط التي تكتب بها اللغة التي يأخذ عنها.

5– علم الوثائق: هو علم يعالج قراءة الوثائق والتعرف على أسلوبها وفهم مصطلحاتها والتأكد من صحتها، سواء عن طريق معرفة نوع الورق الذي دونت، إذ لابد من معرفة المواد التي كانت تصنع منها الأختام وكيفية بصمها وعدد الأشخاص الموكلين لها.

6- علم الاقتصاد: إن التطور الاقتصادي الذي شهدته البشرية يعطي للمؤرخ إلماما بجانب من أهم جوانب الحياة الاجتماعية للبشرية ألا وهو الجانب الاقتصادي الذي يتناول قوى الإنتاج وعلاقاته ووسائله وأهدافه، ويضع أمام المؤرخ صورة متكاملة للظواهر الاجتماعية.

7- علم الجغرافيا: إن العوامل الطبيعية المختلفة تؤثر في حياة الإنسان، وتترك بصماتها على حركة التاريخ، فللجغرافيا تأثير واضح في حركة الإنسان وفي علاقاته وقدرته على الإنتاج وفي نوعية اهتماماته، فالمناخ والثروات والمواقع والتضاريس ... تحدث تباينا واضحا بين البلدان.

8- الأدب: هو مرآة لحياة الشعوب وتعبير صادق عن أفكار الأدباء وأحاسيسهم ومشاعرهم وتفاعلهم مع الأحداث...، يمكن ذلك من أن يعطي للمؤرخ ملامح أو إشارات أو أفكار عن حياة شعب أو جماعة من الناس في مرحلة تاريخية محددة، فلقد كان الأدب أحد الممهدات الهامة لبعض الثورات التي تركت آثارا بعيدة في تاريخ العالم، ومن الأمثلة مسرحيات توفيق الحكيم، كتابات طه حسين وعباس محمود العقاد ...، وهي جميعها صور أدبية صادقة ونماذج جيدة لما يمكن أن يقدمه الأديب إلى المؤرخ من تصوير فني رائع، فالشعر مثلا تناول قضايا الأمة العربية المعاصرة وأوضاعها السياسية والاجتماعية و...

9- علم النفس: إن دراسة العوامل النفسية والنوازع البشرية ومحاولة التوصل إلى المكونات النفسية لشعب من الشعوب تساعد في فهم كثير من الأحداث التاريخية، ومن الصعب الكتابة عن الشخصيات التاريخية دون دراسة العوامل النفسية التي كونت هذا الزعيم والمؤثرات المختلفة التي شكلت ميوله.

يضاف إلى ذلك كله معرفة أنواع الحبر وألوانه وأشكال الورق من حيث الطول والعرض والسماكة واللون وشركات تصديره إلى الأقطار العربية، وأصناف الاقلام وظروف استعمالها في مختلف الدوائر والدواوين، ولا بد للمؤرخ العصري التبحر في العلوم الاجتماعية والفلسفية، إذا ما أراد أن ينظر إلى باطن المجتمعات الماضية ليتوصل إلى العوامل الأساسية التي أثرت في عقول السلف، وقد أظهر علماء الاجتماع أن كل حدث مضى إنما هو مظهر لقوى شتى، اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وغير ذلك، تضافرت في إبرازه إلى حيز الوجود.

وهناك علوم مساعدة أخرى مثل: القانون والاحصاء والرياضيات والحاسب الآلي يمكن أن تسهم جميعها في مساعدة المؤرخ على حسن الاستفادة من المادة التاريخية المتوفرة، وعلى المؤرخ أن يكون ملما بتلك العلوم قادرا على الاستفادة منها في خدمة البحث التاريخي.

مقدمة

نشأت المدرسة الجزائرية في الثلاثينات من القرن الماضي من أجل التعريف بتاريخ الجزائر وإبرازه، وانشغلت ببناء تاريخ وطني تبنى أفكارها في الفترة الحديثة العديد من المؤرخين، كون الكتابات الفرنسية التاريخية التي ظهرت مع بداية الاحتلال اقتصرت على المذكرات الشخصية والتقارير الرسمية التي سجلها القادة العسكريون والحكام المدنيون، وفي مرحلة لاحقة (1880-1982 م) ظهرت كتابات تاريخية من طرف أساتذة جامعيين وباحثين أكاديميين، متخذين من جامعة الجزائر التي تأسست سنة 1990 م، ومعهد الدراسات الشرقية الذي تأسس سنة 1933 م إطارا لتنسيق جهود البحث والاستكشاف.

ومن الواضح أن اهتمامات المؤرخين في عصر ما تختلف عن اهتماماتهم في عصر آخر، واتصلت الكتابات التاريخية في كل فترة بالثقافة الأم أولا، هذه الطريقة هي التي مكنت من استجلاء ما أسهم به المؤرخون السابقون من استعراض للأحداث التاريخية في العصور السابقة، وهو أسلوب يربط بين أطراف كتابات المؤرخين السابقين باللاحقين عن طريق التأثير.

رغم السياسة التي انتهجها المؤرخون الفرنسيون أمثال "فيليكس غوتي" و"ستيفان غزال"، كان هذا التحول الذي فرضته هذه الظروف التاريخية في النظرة إلى أحداث التاريخ الجزائري تأثيرا إيجابيا تمثل في طرح عديد القضايا والتساؤلات حول ماضي تاريخ الجزائر، الذي ظل يحظى بمكانة هامة عند الجزائريين، واتضح مفهومه الوطني أكثر مع بروز طائفة من المؤرخين الذين تعد كتاباتهم ذروة تطور الوعي التاريخي الجزائري في تلك المرحلة بمنهج علمي حديث اعتمد على كتابات سابقيهم.

01- مفهوم المدرسة التاريخية:

هي تلك الروابط الفكرية والثقافية والقومية التي تشكل قاسما مشتركا بين جماعات فكرية أو علمية أو قومية، تشكل وعيها وتحدد استجاباتها لما يدور حولها من أحداث وطريقة تناول هذه الأحداث، وطرحها لقضاياها الداخلية، ونوعية الحلول التي تقترحها للعلاج، والمفردات اللغوية المستعملة، والمناهج العلمية المستخدمة في التعبير عن ذلك، ومن أمثلة ذلك الوضعية، الماركسية، الحوليات، الخلدونية، مدرسة التاريخ الحديث...، عموما هي وجهة النظر الخاصة في تفسير حركة التاريخ ونشوء الحضارات ونموها وانهيارها.

02- مفهوم المدرسة التاريخية الجزائرية:

نميز بين عدة مفاهيم لعل أهمها:

أ- المدرسة الجزائرية القديمة: هي تلك الكتابات التي دونها أصحابها في فترة عصيبة تتمثل في الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعليه كان همهم الأكبر هو المحافظة على ما تبقى من وطنية موجهة لرفع الهمم وغرس الروح الوطنية في جيل الاحتلال، فاتجهوا إلى بطون الكتب يبحثون عن أبهى فترات تاريخ الجزائر، ليطلع الخلف على ما أنجزه السلف، واقتصر دور هذه المدرسة على جمع المادة وتوفيرها بهدف توجيه الجيل نحو التحرر.

ب- المدرسة الجزائرية المعاصرة: تمثل وجهة النظر الجزائرية للتاريخ الوطني، وتهدف إلى إعادة الاعتبار له بكتابته وإخراجه في مضمونه الوطني وردا على أطروحات المدرسة الفرنسية، تساهم في تغطية الحلقات المفقودة في التاريخ مع إبراز مآثر ثورة نوفمبر الكبرى، لإعطاء هذه المدرسة بعدها الوطني والفكري وفق نظرة شمولية للتاريخ الوطني دون نسيان وإهمال الموضوعية العلمية.

والجدير بالذكر إلى أن أول من أشار إلى قضية وجود المدرسة التاريخية الجزائرية بعد الاستقلال هو الأستاذ "مسعود كواتي".

03- حدود الخطاب التاريخي في الجزائر المعاصرة: انشغل المؤرخون الجزائريون منذ نشأة المدرسة التاريخية الجزائرية في الثلاثينات من القرن الماضي ببناء تاريخ وطني عبر السجال مع المؤرخين الاستعماريين الفرنسيين، ونلمح هذه الفكرة عند عدد من المؤرخين الجزائريين الذين حاولوا التنظير، مثل: مصطفى الأشرف ومحي الدين جندر، كون المدرسة الجزائرية نشأت مع مفكرين ارتبطوا بجمعية العلماء والمسلمين الجزائريين كمبارك الميلي وأحمد توفيق المدني، ثم تبلورت ملامحها مع مفكرين آخرين ارتبطوا بحزب الشعب الجزائري كمحمد شريف ساحلي ومصطفى الأشرف، ومنذ نشأتها اعتبرت الجدل مع المدرسة التاريخية الاستعمارية غايتها القصوى، فالاهتمام بالتاريخ في نظر المؤرخين الجزائريين مرتبط بمسألة الهوية الوطنية وبناء الدولة الوطنية، فمقابل حركة التغريب الاستعماري التي تقوم على نفي مقومات الدولة والأمة في المستعمرات أسس المؤرخون الجزائريون حركة معاكسة ترمي إلى تمجيد الأمة وأسطرة ماضيها، ومازال السجال مع المدرسة الاستعمارية على رأس جدول أعمال التأليف التاريخي في الجزائر.

يضاف إلى ذلك كله أن المؤرخين الجزائريين ينقسمون إلى فريقين، الأول مرتبط بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والثاني متصل بالحركة الاستقلالية، فالأول معرب في مجمله يحتكر ساحة التعليم والتأليف، والثاني مفرنس ينشط أساسا في ساحة التأليف، ورغم التباين فإن الفريقين يتخذان من التاريخ السياسي مجالا لأبحاثهما، فالتاريخ في نظرهما يذوب في السياسة، ويكون دور المؤرخ في هذه الحالة دراسة الأحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية والحكم عليها وفقا لميولاته.

04- مميزات الكتابات التاريخية الجزائرية.

يقول كثير من الباحثين أن كل عصر ينبغي أن يُكتب التاريخ من وجهة نظره، لأن تقدير كل عصر لما هو مهم وذو معنى بالنسبة إليه يختلف عن تقدير العصر الآخر، وكل عصر كذلك يحاول أن يرى الماضي من خلال اهتماماته والأفكار السائدة فيه، ومن هنا كانت مقولة « **إن التاريخ حوار بين الماضي والحاضر**».

- اقتران علم الأنساب بالتاريخ.
- جمع الكتابة التاريخية بالوعي الديني.
- الاهتمام بالتراجم. (تعريف الخلف برجال السلف)
- استعمال التبويب. (مبارك الميلي)
- ظهور الإيديولوجية الوطنية والانحياز للقضية الجزائرية.
- التطور الواضح في الكتابات التاريخية.
- بروز التاريخ المحلي. (فريدة منسية).
- تعتبر بعض المؤلفات وثائق تاريخية وسياسية (المرآة).
- غياب الشواهد الشعرية والأساليب القرآنية.
- الاهتمام بالمواضيع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية (المرآة).
- الاهتمام بالتاريخ الوطني والتراث الجزائري والفكر السياسي العربي الموحد.

المحاضرة الثامنة: المدرسة المغربية الحديثة وروادها

مقدمة

تعتبر المدرسة التاريخية المغربية من أبرز المدارس في المغرب العربي، إذ أنها تأخذ بعين الاعتبار عند تناولها الدراسات التاريخية كل العوامل المحيطة بالكتابة التاريخية والمتمثلة في العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجغرافية، كما تميزت هذه المدرسة منذ ظهورها بالتعدد والتنوع في الموضوعات وطريقة العرض والمناقشة والكتابة.

لقد ظل المؤرخون يستقون معلوماتهم ومادة تواريخهم عن المؤلفات السابقة لعهدهم، سواءً كان أصحابها من الإخباريين أو من كتاب التراجم أما الأسلوب اللغوي للمؤرخين المغاربة فهو عموما أسلوب واضح وجملة قصيرة، نلمس فيه أحيانا قليلا من الفخامة، وفي بعض التواريخ نصادف اللهجة المراكشية المحلية.

01- المدرسة المغربية الحديثة وخصائصها

تعود جذورها الأولى إلى فترة الفتح الإسلامي، مرورا بإسهامات المؤرخين في العصر الوسيط باعتبارهم خلفوا رصيدا معرفيا كما ونوعا وقاعدة علمية استندت إليها هذه المدرسة في نشأتها وتطورها ومن أبرز مؤرخيها في العصر الوسيط على سبيل المثال لا الذكر نجد القاضي عياض، ابن عبد الله المراكشي، البكري، الشريف الإدريسي وابن الخطيب وابن خلدون...

وتنحصر الكتابات التاريخية في مراكش (المغرب) غالبا في أحد هذين النوعين التاليين:

- تواريخ البلاد والدول والسلالات المالكة.
- كتابة التراجم الفردية أو الجماعية.

يرتكز النوع الأول على التاريخ الأسري للحكام الذين تعاقبوا على مسرح السياسة في المغرب الأقصى، لذا كان من الطبيعي أن يتزاحم الكتاب على قصور الحكام لتقديم نتاج قرائحهم الهدايا والألعاب والوظائف وهذا الفرع من الكتابة لا يخلو من تملق الظلم والظالمين ومجافاة النزاهة والتجرد والعدالة، ومن خلال التملق والتحريف حتى يبدو السلطان الفاجر سلطانا مثاليا، وهذه الآثار المكتوبة ينبغي أن تقرأ بحذر شديد.

أما النوع الثاني فهو كتب التراجم والسير والطبقات، فقد كانت الكتابة فيهم معتدلة أكثر من

النوع الأول، لأن المؤرخين لم يكونوا مدفوعين بحافز الحصول على الجوائز من الحكام أو الأسرار الشخصية التي يؤرخون لها.

02- خصائصها

ساهمت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية في تبلور المدرسة المغربية، وارتبطت بمرحلة الحماية وما أحدثته من تحولات مست بني المجتمع المغربي الاجتماعية والاقتصادية والذهنية، ومن أبرز الخصائص:

أ- الانفتاح العاقل: يظهر ذلك من خلال الموقع ودور المملكة بصفتها جسرا يربط بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني، إضافة إلى فتح أبواب المشاركة للغير وتوسيع الدائرة لتشمل كل الباحثين العرب من خلال رابطة المؤرخين المغاربة.

ب- الاهتمام بالتاريخ المحلي: يظهر ذلك جليا من خلال الرسائل والأطروحات التي سجلت ونوقشت في الجامعات المغربية.

جـ- التنوع: من خلال طرق أقسام مختلفة كالتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

د- الاهتمام بالمناهج: وذلك بتوظيف المناهج الحديثة في الكتابات التاريخية متأثرة بمدرسة الحوليات الفرنسية.

03-روادها

أ- أحمد بن خالد الناصري: هو الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي الجعفري ولد يوم 22 مارس 1835 بمدينة سلا ونشأ فيها وقد كانت زاهرة بالعلوم والعلماء، من أسرة عريقة يصل نسبها إلى الزاوية الناصرية التامكروتية الواقعة بوادي درعة.

حفظ القرآن بالقراءات السبع إضافة إلى متون متنوعة من العلوم الشرعية ودرس الأدب والمنطق والتصوف والتاريخ، أخذ القرآن على شيخه الحاج محمد العلوي السلاوي ثم الأستاذ محمد بن الجيلاني الذي أخذ منه مبادئ العلوم في القرآن، أتم القراءات السبع وفن التجويد وحفظ المتون على يد شيخه عبد السلام بن طلحة وآخرون.

درس الرياضيات والطبيعيات وعلم الجغرافيا واطلع على العلوم العصرية والمخترعات الأوروبية الحديثة، شغل مناصب حكومية مثل: الشهادة في الأحكام القضائية، والقيام على الأوقاف والحسبة وإدارة المراسي البحرية وبعض الوظائف المالية، تخرج على يده العديد من فقهاء المغرب ورموزه وأقطاب الزوايا،

منهم شيخ الطريقة الكتانية "محمد بن عبد الكبير الكتاني" ومن الفقهاء "عبد الرحمن بن الطيب بن الشيخ الدرقاوي".

تفرغ لنشر العلم وتدريسه أزيد من 40 سنة، واشتغل بالتأليف بواقع اجتماعي وختم تفسير القرآن مرتين في أسلوب جديد على أهل المغرب خلف تراثا معرفيا ثقافيا ناهز 27 مؤلفا إضافة إلى المسودات التي لم يبيضها ولا زالت باقية في خزانته، توفي رحمه الله سنة 1897م.

– مؤلفاته

– الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: مؤلف ذاع صيته في الأقطار العربية، كلفه 20 سنة من عمره، فرغ من تأليفه سنة 1894 وتوفي بعد ثلاث سنوات من إتمامه، أي أنه قضى الثلث الأخير من عمره في جمع ووضع وترتيب هذا المؤلف، وهو تاريخ للمملكة المغربية من الفتح الإسلامي إلى صدر دولة السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن.

تميز هذا المؤلف بـ:

* سهولة اللغة وسلامتها.

*كثرة أخبار الجهاد والمجاهدين.

* ألف على سنن أهل العلم.

* شمل أخبار المغرب الأقصى بالتفصيل (09 أجزاء).

– كشف العربي عن ليوث بني مدين: اختصر فيه أخبار دولة بني مدين وانتهى من تأليفه سنة 1878.

– طلعة المشتري في السبب الجعفري: قسمه إلى جزئين، حقق فيه سبب جده ابن ناصر الدرعي رابطا إياه بالنسب العلوي لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأتمه سنة 1881.

– زهرة الأفنان في شرح قصيدة ابن الوكان: هو شرح للأرجوزة الشمقمقية لصاحبها "أحمد بن محمد بن الونان الحميري"، وشرح فيها ملامحه من النظام من الأمثال والأخبار والنوادر وقد فرغ منها سنة 1895م.

– تعليق على ديوان أبي الطيب المتنبي: تكلم فيه عن غريب اللغة وشرح الأبيات مع الإشارة إلى البلاغة والتلميحات البديعية، فرغ من تأليفه سنة 1862م.

– تعليق على رقم الحلل في أخبار الدول لابن الخطيب السلماني: فيه أخبار ملوك مصر والشام في القرون الوسطى، فرغ من كتابته سنة 1869م.

ب– محمد بن جعفر الكتابي: ولد بفاس سنة 1858، كانت له رحلات إلى المشرق العربي، زار المدينة المنورة ودمشق التي درسها فيها لفترة من الزمن، ثم عاد إلى مراكش، وتوفي بفاس سنة 1927، وهو من أهم من كتبوا في التراجم ولاسيما أعلاه العلماء والصالحين في المغرب الأقصى، ومن كتبه "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمسن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس".

المحاضرة التاسعة: المدرسة التاريخية المغربية المعاصرة وروادها

مقدمة

يطلق مفهوم الكتابة التاريخية المغربية المعاصرة من فكرة نبذ الكتابة الاستعمارية، لينتهي إلى تساؤلات حول ما يمكن أن تستفيد منه من مناهج التاريخ الغربي ومفاهيمه، وتميزت في بداية الأمر بالإنتاج التقليدي خاصة من حيث الأسلوب.

ويقصد بها مجموع الإنتاج التاريخي في الجامعة المغربية الحديثة منذ فجر الاستقلال حتى اليوم وتسمى أيضا بمدرسة الرباط التاريخية، لذا بدأ الباحثون المغاربة يدعون إلى كتابة تاريخ وطني قومي بغية إزالة الكتابات الاستعمارية عن طريق إبراز عيوب هذا النوع من الكتابة، ومحاولة لإبراز قدرة المغاربة على كتابة تاريخهم وماضيهم.

1– مميزاتها وأهدافها

– تختلف هذه المدرسة عن الاتجاه الأوروبي الذي لم يتلزم بقواعد البحث العلمي التاريخي في دراسته لتاريخ المغرب وعن المدرسة التاريخية المغربية التقليدية.

– إعادة تاريخ المغرب من منظور وطني اعتمادا على وثائق مغربية أصيلة.

– محو المؤرخ المغربي الجديد بعض المصطلحات من قاموسه لأنها تناسب رؤية تاريخية كاذبة مثل "التهدئة" التي تخفي واقع الغزو، وكلمة "الحماية" التي تعتم على ظاهرة الاستعمار، وكلمة "العنصرية المغربية" التي تنكر الجمعية الوطنية للشعب المغربي.

– كشف الستار الذي أسدله الكتاب الأوروبيون على أنظمة البلاد وعلى درجة التلاحم بين عناصر مجتمعها المختلفة.

– كشف الأسباب الحقيقية للانحطاط الطويل الذي أدى بالمغرب إلى الاستسلام للاستعمار، والأسباب التي مكنته من مقاومته مدة طويلة.

– توسع المؤرخ الجديد ميدان البحث ليشمل المدن البوادي ويعطي الاهتمام للفلاحين ورجال المهن، واعتبار الإنتاج أساس المجتمع.

– تفادي تسجيل ما هو غير محقق على أساس وثائق.

– استنباط ما كان فعلا كما كان وتفادي تسجيل ما هو غير محقق.

– الاهتمام بظروف حياة العامة اليومية العادية في إطارها الجغرافي، وبالانتباه ووسائله والعلاقات بين الناس وعواملها.

– تنوع الإنتاج المغربي المعاصر في الموضوع والمضمون والمنهج والمرجعيات النظرية والخلفيات الإيديولوجية الظاهرة والضمنية.

– الاستمرارية بين الكتابة المعاصرة والحديثة من خلال مستوى المصدر والوثيقة ومستوى العقيدة والإيديولوجية.

– المرجعية الغالبية لدى جل هؤلاء المؤرخين مرجعية عصرية قد تكون ماركسية، أو تاريخية أو صحابية أو نبوية، سواء تم التعبير عنها بوضوح أو كانت ضمنية تنجلي في أنواع الإشكالات المطروحة.

– الاستئناس المتزايد بطرق ومفاهيم العلوم الاجتماعية المعاصرة من سوسيولوجيا وانثروبولوجيا واقتصاد وعلوم سياسية.

– العرض والتحليل بدل السرد والرواية.

– الطابع القومي الوطني، يحتل فيها تاريخ المغرب المكانة المركزية والموضوع الرئيسي.

– التصدي لأطروحات الهيستوغرافيا الكولونيالية، ووحدة الهدف مع بروز مواقف مختلفة وأحيانا متناقضة.

– الانتقال من مرحلة النقد الإيديولوجي إلى مرحلة يمكن نعتها بمرحلة التفكيك المعرفي.

2– روادها

لقد برز مفكرون مغاربة دافعوا عن اتجاهات المدرسة المعاصرة نذكر منهم:

أ– عبد الله العروي (1933)

مفكر ومؤرخ مغربي درس الفلسفة والتاريخ في فرنسا ومارس التدريس في بلاده وفي الولايات المتحدة الأمريكية، نال شهادة الماجستير عام 1958م عن أطروحة بعنوان "العلاقات التجارية بين المغرب وأوروبا في العصور الوسطى" التي شكلت فيما بعد نواة كتابة "تاريخ المغرب الكبير".

تبنى الطروحات تاريخية الماركسية متأثرا بالفكر الفرنسي وعالم الاجتماع "ديمون أرون"، عمل في المغرب في معهد الشؤون الخارجية، وتم اختياره ملحقا ثقافيا للسفارة المغربية في القاهرة، تعرف خلالها إلى نخبة من المفكرين المصريين ثم عاد إلى فرنسا لإكمال تعليمه وحصل على شهادة الدكتوراه عام 1976م.

مؤلفاته: نشر ترجمات ونصوصا ودراسات في عدد من المجلات المغربية والعربية والفرنسية، وأصدر أكثر من ثلاثين كتابا نذكر منها:

– الأيديولوجيا العربية المعاصرة: يحمل الكتاب دعوة إلى التحلي بالوعي النقدي وقاعدة إلى التجاوز المستمر التقائي بالذات، وانطلاقا من حتمية تداخل المجتمع العربي والغربي، وفي هذه الدعوة إشارة إلى تحاشي كل انكفاء، وكل انغلاق لتجنب المواقف التبرينية والاستعراضية ليصبح العقل العربي جاهزا ليوافي الغرب، وكان ذلك سنة 1967.

– خواطر الصباح يوميات (1967 – 1973): شرح العروي في كتابة يومياته منذ سنة 1949 وهو لا يزال تلميذا في ثانوية مراكش، ويغطي هذا المؤلف فترة تاريخية حاسمة من وجود الأمة العربية.

–مجمل تاريخ المغرب: هو محاولة لقراءة ماضي المغرب العربي بحكم أن من ألفوا في التاريخ المغربي غربيون، ومنهم مؤرخو الاستعمار الذين كانت لهم تأويلات افتراضية وحتميات لتفسير التاريخ المغربي على حسب أهوائهم السياسية والاستعمارية.

– مفهوم التاريخ: يتحدث فيه عن التاريخ كصناعة لا كمجموعة من حوادث الماضي، هدفه هو وصف ما يجري في ذهن رجل يتحدث عن وقائع ماضيه من منظور خاص به، تحدده حرفته داخل المجتمع، بعد ذلك يفند الرأي القائل بأن التاريخ صناعة.

– العرب والفكر التاريخي 1973م.

– أزمة المثقفين العرب 1974م.

- مفهوم الحرية 1981م.
- مفهوم الدولة 1981م.
- ثقافتنا في ضوء التاريخ 1983م.
- مفهوم العقل 1996م.
- الجزائر والصحراء الغربية 1976م.

منهجه الفكري

يعد العروي من المؤمنين بالمنهج المعرفي (الابستيمولوجي) كمنهج لمعالجة قضايا وإشكالات الفكر العربي، ويمكن أن نميز في مساره الفكري بين ثلاث محطات.

الأولى: محطة التحليل النقدي للأيديولوجيا العربية المعاصرة من خلال كتاب الأيديولوجيا العربية المعاصرة؛ والعرب والفكر التاريخي، حيث نلاحظ أن كتابه ظهر في سياق هزيمة 1967 التي شكلت نقطة تحول نوعية في الفكر الغربي الذي هيمنت عليه المقاييس الماركسية وبدأت تحتل مكان الأيديولوجيا القومية، وتقترح بديل الماركسية التاريخية* كمحطة مكتملة في مسار الحداثة تستوعب القيم التنويرية والليبرالية التي يحتاج إليها المجتمع العربي في نهوضه.

الثانية: محطة المفاهيم من خلال كتبه مفهوم الحرية ومفهوم الدولة ومفهوم العقل ومفهوم التاريخ.. والغرض من هذه المفاهيم هو خلاصات مكثفة لحقل دلالي كامل، فالتاريخانية عنده منهج يعتمد على تفسير التاريخ بالتاريخ وإخراج الميتافيزيقيا والغيبيات وحتمية المرور بالمراحل التاريخية في التطور.

الثالثة: ينطلق العروي في كتابه الأخير "السنة والإصلاح" من فكرة رئيسية مفادها أن المأزق الإصلاحي في التقليد الإسلامي راجع إلى أصول تشكل المرجعية الإسلامية بعد العهد النبوي، بحيث تقرر أن الإسلام التاريخي هو إسلام الجماعة.

ب– عبد الحق المديني

* ينظر: الهادي التيمومي، **المدارس التاريخية الحديثة**، ط 01، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ص 101 وما بعدها.

ولد في 31 ماي 1934 بالرباط، حصل على ديبلوم معهد الدراسات العليا المغربية سنة 1960، وعلى الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1964، أحرز سنة 1966 على ديبلوم الدراسات العليا من معهد الدراسات العربية التابع لجامعة "ستراسبورغ" الفرنسية، وعلى دكتوراه من نفس المعهد سنة 1973، نال سنة 1989 دكتوراه الدولة في الأدب المغربي من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

التحق باتحاد كتاب المغرب في فبراير 1973، ليوزع إنتاجه بين الأدب والتاريخ، وقد نشر مجموعة من المقالات ابتداءً من سنة 1966 بعدة صحف ومجلات وهي: الأنباء، العلم، الشرق الأوسط، البحث العلمي، دعوة الحق، اللقاء، الفنون.

مؤلفاته

– الجيش المغربي عبر التاريخ: ألفه سنة 1968، يحتوي على 569 صفحة، حاز على جائزة المغرب لسنة 1968، بلغ سنة 1997 طبعته الخامسة، ويتطرق إلى الجيش المغربي منذ فجر التاريخ مرورا بدوره في الفتوحات الإسلامية والدول المتعاقبة على منطقة المغرب الأقصى وصولا إلى عهد الاستقلال، مذيل بمجموعة من الملاحق، يدخل ضمن التاريخ العسكري للمغرب الأقصى.

– ديوان الحنسيات: في 03 أجزاء صدر بالرباط الجزء الأول والثاني 1975 والجزء الثالث 1983.

– قال جلال الملك الحسن الثاني: في جزئين صدر بالرباط سنة 1977 بها 148 صفحة.

– محمد الخامس: دراسات وشهادات: الدار البيضاء، مطبعة دار السياسة 1988.

– الشاي في الأدب المغربي: صدر عن سلسلة شراح لخدمات الإعلام والاتصال العدد 57، 15 جويلية 1999، وقد شمل المحاور الآتية:

– أزمة الكتاب المغربي – الشاي في الأدب المغربي – المغرب ملتقى التيارات الفنية – حديث المغرب عند طه حسين – باقة شعر من رياض الزيتون – مليكة العاصمي والأدب النسائي–– إشراقات مغربية.

ج– عبد الهادي التازي:

من مواليد 15 جويلية 1921 بتازة، توفي يوم 02 أفريل 2015 بالرباط ودفن بفاس، سياسي وكاتب ومؤرخ مغربي، عضو بأكاديمية المملكة المغربية وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة تعلم القرآن وحفظه في سن

التاسعة من عمره بالكُتَّاب، ثم توجه إلى المدرسة ومنها إلى الجامعة التي حاز فيها على إجازة من جامع القرويين سنة 1947، ومعهد للغات في بغداد سنة 1966، وحصل سنة 1972 على دكتوراه الدولة من جامعة الإسكندرية وكان موضوع أطروحته "جامعة القرويين".

تقلد عدة مناصب فكان سفيرا للمغرب بالعراق ثم بليبيا، ثم مديرا للمعهد الجامعي للبحث العلمي سنة 1974، ويعد من مؤسسي نادي الدبلوماسيين المغاربة (رئيس) سنة 1990، كما عين رئيسا للمؤتمر العالمي السادس للأسماء الجغرافية بنيويورك، وشغل عضويه عدد من المجامع العلمية منها المجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعهد العربي الأرجنتيني، ومؤسسة آل البيت، ومجمع اللغة العربية بالأردن، ودمشق.

مؤلفاته:

أصدر مجموعة من الكتب عبارة عن ترجمات وأبحاث بالعربية والفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى نشره الكثير من المقالات، أهدى مكتبته إلى خزانة جامعة القرويين بفاس، كانت تضم 07 آلاف كتابا، ومن أشهر مؤلفاته:

- الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية.
- تاريخ العلاقات المغربية الأمريكية.
- الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ.
- التاريخ الديبلوماسي للمغرب (08 مجلدات).
- دفاعا عن الوحدة الترابية.
- جامع القرويين المسجد الجامعة في مدينة فاس.
- ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي.

كما ترجم عدد كتب من ضمنها:

- حقائق عن الشمال الإفريقي للجنرال "دولاتوز".
- لو أبصرت ثلاثة أيام للكاتبة الأمريكية "ديريك حدي صولابرايس".
- كما قام بتحقيق كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" للرحالة "ابن بطوطة".

مقدمة

انشغل المؤرخون منذ القدم بجمع ما خلفته البشرية من آثار مختلفة ومجابهتها بالوثائق والمخلفات ومحاولة ضبط وتدقيق الأحداث تماشيا مع المنهج العلمي، ولقد بدأ التفكير التاريخي منذ أن بدأت الإنسانية بمضامين ازدادت تعمقا مع ظهور الأديان السماوية، وإذا أجهدنا أنفسنا باحثين عن الكتابة التاريخية عند العرب سنجد آثارها بداية من العصر الجاهلي مرورا بصدر الإسلام وصولا إلى وقتنا الحالي.

أولا: العصر الجاهلي.

لم يكن التاريخ عند العرب في الجاهلية معروفا بأي من مفاهيمه المختلفة السابقة الذكر، سوى أنه روايات لأحداث الماضي تتناقلها الأجيال مشافهة مع وجود بعض الآثار الكتابية والنقوش المحدودة في بعض المراكز الحضرية العربية في جنوب وشمال الجزيرة العربية، على غرار الإغريق والرومان الذين تميزوا بإطلاق العديد من الأفكار النظريات حول أهمية التاريخ.

لذا لم نشهد لدى العرب أي تطور حول فكرة التاريخ في هذا العصر بدليل عدم بروز أي اسم لمؤرخين أو عاملين في هذا المجال، وللإنصاف يجب القول أن التاريخ نفسه لم يكن محدد المعالم والشخصية بشكل واضح في الحضارات القديمة ومنهم العرب طبعا، ويمكننا أن نلخص وضع التاريخ عند العرب في الجاهلية على النحو التالي:

- لم يكن التاريخ معروفا بخصوصيته ومفاهيمه المتعارف عليها نتيجة انتشار الأمية والجهل.
- كان الغالب على التاريخ الطابع الشفهي، يعتمد على الإخباريين والقصاصيين والنسابة.
- كان الشعر والشعراء من أسس نقل الروايات والأحداث التاريخية.
- تركت بعض المراكز الحضرية العربية بعض الكتابات والنقوش على شكل حوليات لكنها كانت محدودة المعلومات وغير متوافرة وتقتصر على أخبار الحكام والقادة والمعارك والحوادث الكبرى.
- لم تبرز أي من الأسماء في مجال التاريخ عند العرب كما كان معروفا لدى بقية الحضارات وخاصة الإغريق والرومان.
- كان للعرب حضارات قبل الميلاد ازدهرت في جنوب الجزيرة العربية أرخت لنفسها بأشكال متعددة، ومن المعروف أن بلاد العرب شهدت ظهور أولى الحضارات في العالم، فمنذ نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ظهرت حضارات سومر وبابل وأشور في بلاد الرافدين واخترعوا الخط المسماري، والحضارة الفرعونية المكتوبة بالخط

الهيروغليفي، إضافة إلى حضارات أخرى في بلاد الشام وشرق الجزيرة العربية، وعمان وحضارات عرب الجنوب في سبأ وحمير... وفي جنوب غرب الجزيرة العربية، وحضارات في وسطها مثل: كندة وتيماء وكيان، وأخرى في شمالها وأطرافها مثل الأنباط والحضر وتدمر، يضاف إلى ذلك الحضارات في شمال افريقيا كالقرطاجية...

– رغم وجود حضارة في اليمن والحيرة وغسان لم يصل إلينا منها كتب تاريخية، وكان تاريخها نسيا منسيا لدى العرب، ولذلك دخلت عليهم الأباطيل والخرافات عندما أرادوا الكتابة عنها على الرغم من النقوش الموجودة حتى اليوم على الآثار الباقية في اليمن وشمال بلاد الحجاز وجنوبي بلاد الشام، نظرا للجهل بالخط الحميري والخطوط الأخرى في البلاد العربية القديمة.

– رغم كل ذلك إلا أن عرب اليمن في الجنوب كانت لهم كتابات دينية وتسجيلات للأعمال البشرية من طقوس دينية وبناء الأسوار والمعابد والحصون والحملات العسكرية، هذه المدونات كانت تتسم بالاضطراب والتشويه في طريقة تأريخ الحوادث إلى أن أدخل عليها تقويم ثابت للتاريخ سنة 115ق.م.

– كما كان لدى عرب الحيرة المناذرة كتب تحوي أخبارهم وأنسابهم أشار إليها الطبري وابن هاشم، كما كانت لهم نقوش حاول ابن الكلبي قراءة بعضها لاستخلاص أمور تاريخية منها، ولم يؤثر عن الغساسنة مؤلفات تاريخية أو نشاط تاريخي محدد، مما جعل تاريخيهم متأرجحا بين ما يضم تاريخ البيزنطيين وما تروي الأخبار العربية البدوية، أما عرب الحجاز وبدو نجد فكان لهم روايات شفوية من قصص عن الآلهة وروايات عن الشؤون الاجتماعية والمآثر والمعارك والأنساب.

إذا يمكن القول أن المادة التاريخية في العصر الجاهلي تمثلت في:

1– الأيام: حيث كانت القبائل تروي أيامها، حروبها وانتصاراتها سواءً كانت شعرا أو نثرا.

2– الأنساب: كانت كل قبيلة تحفظ نسبها وتحفظه أبناءها لتظل نقية بعيدة عن الشوائب ولتستطيع أن تفخر به عن القبائل الأخرى.

3– تاريخ الأمم المجاورة: عرف العرب بعض أخبار من جاورهم من الأمم مثل الفرس والرومان.

ثانيا: مراحل التدوين التاريخي بعد مجيئ الإسلام.

ارتبطت الكتابة التاريخية عند المؤرخين العرب " منذ صدور الإسلام" ارتباطا وثيقا بالعلوم الدينية، فكان المؤرخون الأولون يكتبون في السيرة النبوية والمغازي والأنساب والطبقات والتراجم، ولقد جمع كثير من أئمة

المسلمين بين الفقه والتاريخ وكانوا يرون ضرورة الانشغال به لخدمة الغرض الديني، حتى يصبح وسيلة لفهم الفقه والشريعة وفيما يلي مراحل تدوين التاريخ عند العرب، لكن قبل ذلك سنتطرق إلى أهم العوامل التي أدت إلى بروز حركة تاريخية أخذت تتسع وتنتظم شيئا فشيئا حتى خلفت لنا ثروة من أغنى الثروات:

1- احتاج المسلمون في تفسير الآيات القرآنية إلى معرفة أسباب نزولها والموضع الذي نزلت فيه والحادثة التي تشير إليها، وكل هذا يحتاج إلى بحث تاريخي في حوادث الإسلام، وهكذا كان التفسير من العوامل التي دعت إلى التدوين التاريخي.

2- أكثر القرآن الكريم من الإرشادات إلى الأمم والقبائل وقصص الأنبياء والقصص عن الغابرين، فرغب علماء المسلمين في فهم هذه الإشارات وتوضيحها.

3- كان الحديث النبوي الشريف من عوامل تدوين التاريخ، إذ عني المسلمون بجمع الأحاديث النبوية ليفسروا القرآن الكريم ويستنبطوا منها أحكام الدين الإسلامي، وكانت اساس كتب السيرة و المغازي فيما بعد.

4- شعور بعض الخلفاء أنهم محتاجون إلى الاستعانة بأخبار من سبقهم من الأمم ليستنيروا بها، وخير مثال على ذلك أن معاوية بن أبي سفيان بعدما يفرغ من عمله يستمر إلى ثلث الليل في قراءة أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة.

5- كان (الأعاجم) يفخرون على العرب بتاريخهم وحضارتهم، فلجأ العرب إلى تدوين تاريخ لهم يستطيعون به الوقوف إزاء هذا الفخر الأجنبي ويظهرون بأنهم ليسوا أقل من الأمم الأخرى.

6- كان النظام المالي للحكومة الإسلامية من العوامل التي أدت إلى قيام الحركة التاريخية وانتشارها، لأن جباية الضرائب على البلدان تتباين، فدعا ذلك إلى البحث في تاريخ الفتوحات الإسلامية والاهتمام بهذا الفرع من التاريخ.

7- تحول العقل العربي إلى التدوين والتمدن السريع والمشاركة في التدوين والتأليف في جميع العلوم، فألف صحارا العبدي كتابا في الأمثال، وترجمت كتب الكيمياء في عهد خالد بن يزيد بن معاوية، وجمع عمر بن عبد العزيز الحديث.

8- استمرار العناية بالأنساب والأيام لأنها تغذي الشعراء في ميدان الفخر والهجاء، واتخذ هذا النوع من التاريخ لونا جديدا هو العناية بغزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

9- تقدير الجزية والخراج: حيث رغب الولاة في معرفة صفة ما فتح من الأمصار: صلحا، عنوة، بعهد...، وتدوين حال البلد المفتوح، ومن أمثلة ذلك كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وفتوح البلدان للبلاذري...

10- نظام العطاء: كان مرتبا حسب الأنساب وحسب الأسبقية إلى دخول الإسلام وحسب القرابة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- لذلك ظهرت كتب الطبقات.

المراحل:

أ- مرحلة التدوين الأولى: اتجهت الكتابة التاريخية في هذه الفترة إلى اتجاهين مهمين هما:

- الاتجاه الإسلامي الذي ظهر عند أهل الحديث.
- الاتجاه القبلي أو اتجاه الأيام الذي يمثل التيار القبلي الذي استمر في مجتمع الإسلام.

ويتسم التدوين في هذه المرحلة بالطابع الشخصي والعفوية والفضول العلمي والمنفعة الدينية والاجتماعية، وقد بدأت عملية التدوين نقلا عن الرواة أي مشافهة، وتمثلت في كتابة السيرة النبوية الشريفة وتاريخ الأنساب وتاريخ اليمن وأخبار الفتوح ...، وامتدت حتى مطلع القرن 02هـ ، وكتب في هذه الفترة عبد الله بن العباس المتوفى سنة 87هـ وأبان بن عثمان بن عفان المتوفى سنة 95هـ، وعروة بن الزبير المتوفى سنة 94هـ، الذين رووا جوانب من "المغازي" ، ثم جاء شرحبيل بن حسنة (ت 123هـ) وابن شهاب الزهري (ت 124هـ) اللذان حسنا فكرة السيرة وحاولا جعلها أساسا لكتابة تاريخ عالمي.

ويشير العديد من المؤرخين أن الانطلاقة الفعلية للدراسات التاريخية عند العرب كانت عندما وضع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – تقويما ثانيا هو التاريخ الهجري، وما صاحبه من إنشاء ديوان خاص بالمحاربين، وتم تصيف هذه البدايات إلى: المحدثين ومركزهم المدنية، والإخباريين في كل من الكوفة والبصرة، بعد ذلك ظهر محدثون من الدرجة الثانية كتبوا في السيرة النبوية والقصص الشعبي، ويعد كل من ابن اسحاق وابن هشام أشهر من كتبا حول السيرة النبوية.

ب- المرحلة الثانية:

شملت القرن 02 هـ بأكمله اهتم فيها الاخباريون بالأحداث المختلفة ذات المواضيع المتنوعة، وكلها مأخوذة من أفواه الرواة، ولم ينقطع الاهتمام بالسيرة النبوية بل اتسع وانتظم وأعطاها شكلها النهائي على يد ابن

اسحاق (ت 151هـ) صاحب اقدم وأكمل سيرة، لكن الاهتمام بالأخبار التاريخية الأخرى صار أكثر وضوحا، ذلك بسبب أن السيرة استكملت جميع المعارف واستنفدت جميع المصادر المعلومات المتعلقة بها.

لذا وجد الإخباريون ميادين أخرى ومواضيع سياسية واقتصادية واجتماعية تهم عامة المسلمين، وهكذا اندفع الاخباريون في تأليف الكتب وشملت مواضيع التاريخ الإسلامي وتاريخ العرب الجاهلي وبعض تواريخ الأمم وبرز خلال هذه الفترة " أبو مخنف " و" الواقد " و" عوانة بن الحكم ".

ما يلاحظ على كتابات هاتين المرحلتين حسب بعض المؤرخين أن مدوني هذه المرحلة (ماعدا السيرة) كانوا يطلقون العنان للخيال في تصوير الوقائع وتلوين الحوادث التاريخية بأطياف خيالية قد تخرج بها إلى حد الخيال والأسطورة، كما تم ادخال حوادث تاريخية لا أصل لها، ونجد ذلك في كتاب "التيجان" لوهب بن منبه، وكتاب عبيد بن شربة، ولذلك يصدق على بعض هذه الكتب اسم القصص التاريخي أكثر من أي نعت آخر، وتعد امتدادا للحركة القصصية التاريخية التي كانت موجودة في الجاهلية، إضافة إلى تأثر أصحابها بالقرآن الكريم في الصياغة، ومثال ذلك في وصف الخلق « فاضطرب الماء وهاج، فاصطفق، فأزبد، فصار أرضا ... ثم رفع السماء وهي دخان... وخلق الملائكة، وأوحى في كل سماء أمرها ... وخلق الجبال في الأرض أوتادا...».

من أشهر المدونين نجد موسى بن عقبة (ت141هـ)، وهو من المشهورين بمعرفة المغازي، وألف فيها كتابا رواه عنه ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم (ت 158هـ)، كان أصغر حجما من كتب المغازي الأخرى، توجد قطعة من هذه المغازي في المكتبة البروسية الرسمية، اهتم فيها بعهد الرسول والهجرة الأولى والثانية وعهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي وكذلك التاريخ الجاهلي.

نرى من خلال هاتين المرحلتين أن الكتابة التاريخية عند العرب نشأت نشأة عربية خالصة، لا يد فيها للفرس أو اليونان، وهي استمرار لما كان موجود في الجاهلية أو تفرع لعلم الحديث العربي الخالص، بعد ذلك ما لبثت أن تأثرت بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) والفرس، بل صار أغلب المؤرخين من الموالي في أواخر القرن 02 هـ، لذا نجد التاريخ القبلي الجاهلي أو الأيام والأنساب يعني لها في العراق خاصة (الكلبي)، ونجد القصص الخرافية الشعبية تستمر في الوجود فيظهر عبيد بن شربة الذي يعنى بتاريخ القبائل البائدة من العرب، ووهب بن منيه الذي يعنى بتاريخ اليمن وأهل الكتاب، ويسير على النمط الجاهلي المأثور في القصص الشعبية، وأما تاريخ السير والمغازي المولود في المدينة والمتفرع من الحديث فقد تأثر به في بادئ الأمر أبان وعروة،

وأخذت السير والمغازي تتطور سريعا فنجد "الزهري" يخطو بالتاريخ خطوة بارعة إلى الأمام، ويشرع مؤرخو المدينة في الالتفاف إلى ميادين تاريخية أخرى على يد "عروة" و"موسى بن عقبة"، ويتوج هذا التطور بمحمد بن إسحاق المؤرخ الحقيقي الذي يمثل نهاية تطور السيرة ذات النموذج الديني عند المحدثين، وذات النموذج الملحمي عند القصاص الشعبيين، والذي يمد بحثه إلى آفاق بعيدة لم يرها المدنيون من قبل.

وتمتاز الحركة التاريخية العربية بعدة ظواهر نذكر منها:

– لم يكن المؤرخون موظفين وإنما كانوا أناسا عنوا بالتاريخ لمجرد الرغبة الشخصية، وحبا في علم التاريخ.

– كان المؤرخون علماء يدرسون التلاميذ من عامة الشعب ويؤلفون كتبهم لهؤلاء التلاميذ وللشعب أيضا غير معتمدين على الخلفاء والأمراء.

– صحة الأخبار العربية عن الحوادث الإسلامية خاصة، وقد جاءت هذه الصحة في طريقة معالجة الأخبار، فهم أخذوها عن العدول الثقات واتبعوا في ذلك ما تبعه علماء الحديث في نقدهم.

– العناية بالروايات المختلفة والأسانيد المتنوعة، دون أي زيادة أو تفصيل على حسب الأسانيد المختلفة التي روت الأحداث.

– سار التاريخ الإسلامي بجميع صوره على النمط المعروف عن الرواة الجاهليين، من سوق القصة التاريخية وتقطيعها بالأشعار التي قد تشرح شيئا من الحوادث أو تعلق عليها أو لا تتصل بها إلا اتصالا طفيفا.

من أشهر الكتاب والإخباريين في هذه المرحلة:

– أبو مخنف صاحب 32 كتابا حول: الردة، الفتوح، الشورى، الخوارج.

– عوانة بن الحكم: صاحب سيرة معاوية وبني أمية والفتوح والردة والخلفاء الراشدين.

– سيف بن عمر: الردة، الفتوح، الفتنة، موقعة الجمل.

– هشام بن عبد السائب الكلبي، ألف أزيد من 150 كتابا في تاريخ اليمن الخلفاء، وأخبار الأوائل.

– الهيثم بن عدي: له 50 مؤلفا في الأنساب، القبائل، الخوارج، ولاة الأمصار، خطط البصرة، الكوفة.

– نصر بن مزاحم: 50 كتابا الجمل، صفين، مقتل الحسين، مقتل عمر بن الخطاب.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة تدوين التاريخ على أساس التسلل الزمني، وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد، وما يميز هذه المرحلة هي سيطرة المنهج الحولي في التدوين التاريخي، وتتوطد نهائيا نهاية ق 03 هـ، وتأسست على مرتكزين هما:

- وحدة التاريخ الإسلامي وأهمية تجارب الأمم الإسلامية.
- وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء.

ونسجل البدايات الأولى لدى ابن اسحاق صاحب السيرة أواسط ق 02 هـ. وإسحاق بن إبراهيم صاحب كتاب « السير في الأخبار والحوادث »، وفي خطوة أخرى نجد جميع السير والأخبار في كتاب واحد، كما تم وضع أول كتاب في التاريخ على أساس الطبقات لتراجم الرجال.

في هذا الصدد يقول " دي يور": « **يمتاز مؤرخو العرب الأقدمون بالقدرة على إدراك الجزئيات إدراكا دقيقا، غير أنهم لم يقدروا على ربط الحوادث برباط جامع، ولم يكن السواد الأعظم في صدر الإسلام يستطيعون القراءة والكتابة، فلم يدون تاريخ الأمة العربية إلا بعد زمن غير قصير ... حتى إذا جاء القرن الثاني الهجري أخذ العرب يبحثون تاريخهم** ...»

العوامل المؤثرة في هذه المرحلة:

- صناعة الورق اتاحت للحركة الثقافية أداة تورية في الفكر، مما أعد على التوسع في التدوين التاريخي.
- الدور الريادي لمؤلفات المرحلة الأولى والثانية.
- خصوصية العصر العباسي الأول وما يليه من تطور حضاري وتأليف علمي وفني وتوسع في حركة الترجمة... سمح للمؤرخين السعة في الأفق والتوازن في النظرة التاريخية لمختلف الحضارات وتسلسلها.
- ظهور مؤرخين عظام، أكسب عملية التدوين زخما وانتشارا شعبيا على غرار خليفة بن الخياط (ت 240هـ)، وابن قتيبة الدينوري (ت 270 هـ) وغيرهما.
- تشجيع الخلفاء للرواية التاريخية والتدوين التاريخي وشغفهم بالاستماع للأخبار والروايات التاريخية.
- تأثير ودوافع الحركة الشعبوية التي أبرزت الحاجة إلى تاريخ أصول الشعوب والأعراق والإثنيات في سباق محموم لإثبات الوجود والعراقة والأصالة.
- دوافع الحاجة والضرورة للعرب المسلمين لبناء الدولة الإسلامية.

– الاستفادة من قواعد علم الحديث والسيرة النبوية الشريفة.

– فرض التاريخ نفسه كحاجة للأمة العربية الإسلامية الناهضة لتأخذ دورها ومكانتها بين أمم وحضارات العالم.

أهم مؤرخي هذه المرحلة:

– أبو حنيفة الدنيوري (ت281 هـ): الأخبار الطوال.

– أحمد بن أبي يعقوب، اليعقوبي (ت 294 هـ): تاريخ اليعقوبي.

– محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ): تاريخ الأمم والملوك.

– المسعودي (ت 346 هـ): مروج الذهب – التنبيه والإشراف – أخبار الزمان.

– مسكويه، أحمد بن محمد (ت 421 هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم.

التاريخ عن ابن خلدون

أحدث ابن خلدون (732 هـ – 808 هـ) ثورة منهجية في كتابه التاريخ والكتابة التاريخية: حيث انتقل به من مجرد الإخبار عن الدول والأيام إلى الإخبار عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، واعتبره من الفنون، ويفرق المؤرخين الذين سبقوه ويصنفهم إلى نوعين:

– الأول: استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم، كالمسعودي ومن كان على شاكلته.

– الثاني: عدل عن الإطلاق إلى التقيد واستوعب أفكار أفقه وقطره، واقتصر على أحاديث دولته.

وقد تعددت أسماؤهم ومدارسهم وكتاباتهم التاريخية لتشمل الفتوحات والطبقات وسواها من المواضيع التاريخية.

لقد سطعت أسماء العديد من المؤرخين العرب منذ القرنين السادس والسابع الهجريين منهم: ابن الاثير (ت 620 هـ)، الذهبي (ت748 هـ)، ياقوت الحموي (ت 626 هـ)، أبوا الفداء (ت 732 هـ)، وغيرهم، في فترة شهد فيها التاريخ العربي الإسلامي مرحلة كبيرة من التطور.

إن المتتبع لما كتبه ابن خلدون يرى إدراكه لمختلف عمليات وخطوات الكتابة التاريخية، مستهجنا النقل دون تدقيق أو تمحيص، ووضع قواعد وأسس في البحث التاريخي معتمدا على جملة من النقاط:

– ملاحظة الظواهر الاجتماعية.

– تعقب تلك الظواهر في العصور السابقة بعصره.

- تعقب الظواهر في شعوب لم يزرها ولم يحتك بها.
- الموازنة بين تلك الظواهر.
- التأمل فيها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية واستخلاص القوانين.

مقدمة

ابتدأت هذه المرحلة مع مستهل الثلاثينات من القرن العشرين، وتوجهت إلى معالجة التاريخ الجزائري باعتباره وحدة من حيث المدى الزمني والحيز الجغرافي، مع التركيز على إظهار البطولات والأعمال الجليلة وحركات التحرر ضد المحتلين الأجانب المتمثلين في الرومان والوندال والبيزنطيين والإسبان والفرنسيين، ويمثل هذه المرحلة كلا من الشيخ محمد مبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي.

أولا: الشيخ محمد المبارك الميلي (1896– 1945 م)

01– المولد والنشأة:

هو مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي الميلي الجزائري، وهو مؤرخ وكاتب وصحفي من رجال الإصلاح، وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أمه تركية بنت أحمد بن فرحات حمروش، توفي والده وله من العمر أربع سنوات وبعدها بقليل توفيت أمه، حفظ القرآن الكريم وختمه على يد الشيخ أحمد بن طاهر مزهود بجامع سيدي عزوز بقرية أولاد مبارك، واصل تعليمه على يد الشيخ معلم محمد بن معنصر، وفي سنة 1918 م توجه إلى قسنطينة والتحق بالجامع الأخضر ليتابع تعليمه على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم غادر باتجاه تونس لمواصلة دراسته في الزيتونة سنة 1919 م، حصل منها على شهادة التطويع سنة 1924 م.

حققت حركته الإصلاحية نجاحا كبيرا في الأغواط والتي خرج منها حوالي سنة 1933 م، ابتلي بداء عضال ومرض مزمن، وافته المنية يوم 09 فيفري 1945 م.

02– أهداف الكتابة عند الميلي:

لقد أدرك الميلي من خلال مطالعاته التاريخية أهمية التاريخ بالنسبة للشعوب، في وقت كان اهتمام جل الجزائريين به قليلا، فقد شكل إحدى حلقات الصراع الثقافي مع الاحتلال الفرنسي، فقد كانت الكتابة التاريخية في عهده باللسان العربي من التحديات الكبرى أو المستحيلة، نظرا للسياسة التعليمية الفرنسية، إذ لا توجد معاهد تاريخية ولا مدارس لتعليم الجزائريين ولا حتى مكتبات عامة يستقي منها الباحث مادته العلمية، ناهيك عن التشويه الذي ألحق بتاريخ الجزائر من جراء الممارسات الاستعمارية الرامية إلى وصل تاريخ الاحتلال الفرنسي بالوجود الروماني في المغرب العربي مباشرة، متجاهلين بذلك الفترة الاسلامية، واعتبارها فترة مظلمة في تاريخ المنطقة، ويمكن استخلاص الأهداف التالية:

- توعية الشعب الجزائري عامة والشبيبة خاصته.
- ربط ماضي الجزائر بحاضرها.
- التوعية التاريخية.
- إثبات الشرعية التاريخية للجزائر.
- شحذ الهمم الوطنية وغرس حب الوطن والوطنية في النفوس.
- التأكيد على الوجود المستمر للشخصية الجزائرية عبر العصور التاريخية.

03- مؤلفاته:

على الرغم من أن مبارك الميلي لم يترك مؤلفات كثيرة إلا أنها كانت باعث أمل في تشجيع الحركة العلمية خلال تلك الحقبة التاريخية الصعبة، نذكر منها:

أ- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: ألفه في وقت التحضيرات لاحتفالات مرور 100 سنة على احتلال الجزائر، وذلك خلال استقراره بمدينة الأغواط (1927- 1933 م)، صحح الأعلام وجمع المواد وأوضح الأغراض التاريخية وقرب الأسلوب من النهج العصري، أصدر جزئين أما الثالث فلم يرى النور وكتب منه 20 صفحة فقط.

تناول الجزء الأول تاريخ الجزائر في العصور القديمة، وكان أول إعلان له في جريدة الشهاب العدد 106 بتاريخ 21 جويلية 1927 م، أما الجزء الثاني فتناول العهد الإسلامي وطبع في ماي 1932 م، وأعلنت عنه الشهاب في جزئها السادس.

ب- رسالة الشرك ومظاهره: صدر في شكل مقالات في جريدة البصائر بنفس العنوان، وفيه اهتم بظاهرة الشرك وبواعثها المادية عند المبتدعين في العقائد والعبادات لأصول الكتاب والسنة، ثم قام بجمع تلك المقالات في شكل كتاب صدر سنة 1937 م.

04- منهجه:

- اعتمد بشكل كبير على ابن خلدون.
- يمر على بعض الأحداث الهامة دون تفصيل.
- حاول استخدام المناهج الحديثة في الكتابة التاريخية.

- استعمال المصادر العربية ونقدها.
- استعمال المصادر الأجنبية.
- اتباع قاعدة الكل فالجزء أو ما يعرف بالتاريخ العام.
- الاعتماد على الاستقراء.
- التحكم في البناء الزمني.
- الابتعاد عن الأحكام المطلقة.
- وحدة التاريخ الجزائري.
- محاربة النسيان وتجديد الذاكرة.
- إبطال أسطورة الجزائر فرنسية.

ثانيا: أحمد توفيق المدني (1898– 1983 م)

01– المولد والنشأة:

ولد في تونس العاصمة يوم 01 نوفمبر 1898 م من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس إثر إخفاق ثورة المقراني 1871 م، بن محمد بن لأحمد المدني القبي الغرناطي، ووالدته هي عائشة بنت عمر بوايراز.

التحق بالمدرسة القرآنية في سن الخامسة من عمره، كان مولعا بالقراءة الصحفية في سن التاسعة حيث كان يقرأ جل الصحف التونسية مثل المرشد، التقدم، المنير والاتحاد الاسلامي...، ولم يكد يتجاوز 15 سنة حتى أصبح مشاركا في تحرير جريدة الفاروق عام 1914 م.

دخل المدرسة الخلدونية بالزيتونة سنة 1913 م إلى عام 1915 م، عاش أحداثا عصيبة منها الانقلاب العثماني ضد السلطان عبد الحميد عام 1909 م، وأحداث الزلاج عام 1911 م، وكذا بداية الح.ع.I عام 1914 م، زج به في السجن بتاريخ 1915/02/14 م إلى غاية 1918/11/01 م تزامنا مع نهاية ح.ع.I.

بدأ في التأليف عام 1922 م من خلال أول كتاب له وهو "تقويم المنصور"، ساهم في إنشاء الرابطة العلمية سنة 1924 م، كانت له أنشطة مسرحية من خلال فرقة السعادة، قامت السلطات الفرنسية من خلال ممثلها "لوبيسيان" بتوقيع قرار النفي بتاريخ 05 جوان 1925 م إلى الجزائر، كما كان من المساهمين في تأسيس نادي الترقي 1927 م وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 م، وأصبح أمينا عاما لها سنة 1941 م، بعد

مؤتمر الصومام عين عضوا للهيئة السياسية بالخارج وممثلا لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة، كما شغل منصب وزير الثقافة بالحكومة الجزائرية المؤقتة منذ 1958 م، وفي عام 1961 م أصبح وزيرا مفوضا بالجامعة العربية، وفي 06 أوت 1962 م عين وزيرا للأوقاف.

تقلد المدني مناصب أخرى سامية بالجزائر، ففي سنة 1966 م عين سفيرا بإيران، وفي سنة 1967 م انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ما بين عامي 1967- 1970 م، وكان سفيرا بالعراق وتركيا وباكستان عام 1971 م، وافته المنية يوم الثلاثاء 18 أكتوبر 1983 م عن عمر قارب 84 سنة.

02- مؤلفاته:

عرف المؤرخ أحمد توفيق المدني بإنتاجه الغزير لذي تنوع خاصة في مجال الجهاد والنضال ضد الاستعمار الفرنسي، كانت كتاباته من الأسباب الرئيسية المؤدية لسجنه ونفيه، ومن أبرز مؤلفاته:

أ- تقويم المنصور: أصدر الجزء الأول سنة 1922 م ويقع في 320 صفحة، ويشمل أبوابا من العلوم والفنون والآداب والسياسة والتاريخ والجغرافيا، وصدر الجزء الثاني سنة 1923 م، والثالث سنة 1924 م، والرابع سنة 1945 م، والخامس سنة 1930 م، قسمه إلى 13 بابا وبه 34 صورة، ألف الأجزاء الثلاثة الأولى بتونس.

ب- كتاب الجزائر: يقع في 408 صفحة، سجل فيه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى سنة 1930 م، يقول عنه المدني نفسه: «**أنه كان فتحا مبينا نزع عن الشعب كل الشعب غشاوة الجهل المطبق**»، عرف لأول مرة بجغرافية المنطقة وتاريخها ومجتمعها، وهو تحد لفرنسا في ذاكرتها المعنوية لاحتلال الجزائر، صدر هذا الكتاب سنة 1931 م وأعيد طبعه سنة 1984 م.

ج- محمد عثمان باشا داي الجزائر: جاء ليبين أمرين أساسيين:

أولهما: بيّن فيه ما كان يقع في الجزائر في عهد هذا الداي من عمل مشرق ومشرف وبين ما يحدث في أوروبا وأمريكا من اضطرابات وفوضى.

ثانيهما: وضع المدني مقدمة مطولة فند فيها الأكاذيب الأوروبية حول دور العثمانيين في الجزائر بطريقة علمية وموثقة، صدر هذا الكتاب سنة 1937 م ويقع في 191 ص.

د- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا: يقارن فيه بين صقلية قبل الإسلام وبعده، كيف كانت مظلمة وكيف أشرقت بالعمران والتسامح، ويقع الكتاب في تسعة أقسام، خص فيه القسم الأخير بالعلوم والآداب،

وتحدث فيه عن 34 علما من أعلامها مثل: محمد بن علي المازري، وأسد بن فرات، وأبي عبد الله محمد الإدريسي الحسني الطالبي، وابن حمديس الصقلي، صدر في الجزائر عام 1946 م مكون من 280 صفحة.

هـ- جغرافية القطر الجزائري: كان ذلك سنة 1948 وهو الاول من نوعه عن جغرافية الجزائر، مزود بالصور والرسوم الجغرافية وأعطى وصفا شاملا للجزائر، ووجه إلى طلبة المدارس الحرة التي كانت تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

و- هذه هي الجزائر: طبع في القاهرة سنة 1957 م، وهو تعريف بتاريخ الجزائر وثورة التحرير.

ز- حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792 م: صدر في الجزائر سنة 1968 م، مكونا من 560 صفحة، حاول فيه المدني إبراز الحملة الشرسة التي شنتها أوروبا الصليبية ضد الإسلام والمسلمين مبتدئة بالأندلس وبعد ذلك دول الشمال إفريقي، أعيد طبعه عدة مرات.

ك- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر: صدر سنة 1974 م في 196 صفحة ضمن سلسلة ذخائر المغرب العربي، يعتبر وثيقة جديدة ومصدرا صادقا في سجل التاريخ العثماني الطويل بالجزائر.

ل- حياة كفاح: هو عبارة عن مذكرات في ثلاثة أجزاء، يشمل الجزء الأول حياته في تونس منذ 1905 م إلى 1925 م وبه 351 صفحة تقريبا، والثاني يشمل حياته بوطنه الجزائر من عام 1925 م إلى 1954 م وبه 435 صفحة، والجزء الثالث "مع ركب الثورة" وبه حوالي 600 صفحة، يعتبر هذا الكتاب من أهم ما كتب من الكتابات التاريخية، رغم ما قيل عنه.

إن القائمة لا تنتهي، إذا ما عددناها تبين بحق أن الشيخ أحمد توفيق المدني أفنى حياته من أجل التأريخ لوطنه بحس وطني، كما أن كتاباته أخذت شكل المقاومة الثقافية للسياسة الاستعمارية الفرنسية عامة.

ثالثا: عبد الرحمن الجيلالي (1908- 2010 م)

01- المولد والنشأة:

ولد يوم الأحد 09 فيفري 1908 م بحي بولوغين، يعود نسبه إلى قبيلة زواوة وإلى آل الشجرة الموسوية القادرية، تنحدر أمه من عائلة إبراهيم بن جيار الذي كان إماما بالجامع الأعظم بالجزائر العاصمة، حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الـ 14 سنة من عمره على يد معلمه محمد البشير البوزيري، واصل دراسته بمساجد ومدارس مدينة الجزائر متمثلة في الجامع الكبير والجماع الجديد وجامع سيدي رمضان وجامع السفير، وفي مدرستي

الإحسان والهداية ومسجد عبد الرحمن الثعالبي، لقد تتلمذ عبد الرحمن الجيلالي على عدد من كبار العلماء الجزائريين الذين يعدون من وجوه النهضة الجزائرية في ذلك الوقت، فقد كانت مدينة الجزائر العريقة في بدايات القرن الماضي فضاءً خصبا لنشاط ثقافي وديني غني قاده أعلام من الفقهاء والأدباء والكتاب من أمثال: محمد السعيد بن زكري الزواوي، والشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ العلامة أبو القاسم الحفناوي...، واطلع الجيلالي على عدد وافر من الكتب الهامة في الدراسات الإسلامية.

بعد الاستقلال عين أستاذا باحثا بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر ابتداءً من سنة 1956 م، كما عين سنة 1970 م أستاذا للفقه المالكي بمعهد تخريج الأئمة بولاية البليدة، كما تولى تدريس مادة "مصطلح الحديث" بجامعة الجزائر المركزية سنة 1983 م، كما عين في الكثير من اللجان العلمية التاريخية والدينية، وكان عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، ومن أبرز المساهمين في لجنة الفتوى، حصل على العديد من الجوائز من ضمنها جائزة الجزائر الأدبية الكبرى سنة 1960 م، كرمه الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد سنة 1987 م ومنحه شهادة اعتراف وتقدير لجهوده العلمية الكبيرة، كرمته جامعة الجزائر ومنحته شهادة دكتوراه فخرية سنة 2003 م.

توفي الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ليلة الجمعة 06 ذي الحجة 1431 الموافق لـ 12 نوفمبر 2010 م، بمستشفى عين الطاية عن عمر ناهز القرن وعامين.

02- منهج وأهداف الكتابة التاريخية عند الشيخ عبد الرحمن الجيلالي:

لقد باشر الشيخ التعليم في المدارس الحرة والجمعيات ووجد أن تدريس مادة التاريخ ممنوع ومحرم فيها إلا ما كان يدرس خفية من طرف بعض المعلمين، كما رأى بأن هذه المادة مهملة، مما جعله يتساءل: أين كتب الجزائر؟ كيف حالها؟، وكيف حال علماء الجزائر وأعيانها ومثقفيها؟، الأمر الذي دفعه لإيجاد كتاب لتلاميذ الطور الابتدائي في جزء واحد، إلا أن مشروعه تطور بعد ذلك.

لقد أدرك الشيخ بأن تاريخ الجزائر لا يزال مجهولا، إذ أنه لم يدرس دراسة موضوعية ولا شاملة لكل العصور من طرف الميلي والمدني، لذا اتبع منهجا علميا واضحا وعرضا تاريخيا أوضح من منهج سابقيه، حاول أن يكون موضوعيا في عرض الكثير من الأحداث التاريخية، كتبه خالية من الانفعالات العاطفية، واستشهد بالنصوص الكثيرة التي تدعم بحثه، إضافة إلى التبويب المحكم وترتيب الأدوار التاريخية، واستخدام المخطوطات، وقد استخدم مصادر متنوعة ومختلفة باختلاف العصور بما فيها اللاتينية واليونانية المترجمة والفرنسية، إلا أنه لم يعنى بالخرائط

الجغرافية التي تمثل العنصر المكاني للحوادث إلا قليلا منها، كما أهمل بعض المصادر التي استقى منها معلوماته، وأخيرا اعتماده على أكثر المصادر العربية إذا ما قورنت بالمصادر الأجنبية.

ويمكن تلخيص أهداف الكتابة التاريخية عند الشيخ الجيلالي فيما يلي:

- توعية الشبيبة الجزائرية.
- التوعية التاريخية.
- ربط ماضي الجزائر بحاضرها.
- التأكيد على الوجود المستمر للشخصية الجزائرية.

تقريبا الأهداف نفسها التي نجدها عند المدني والميلي.

03- أعماله:

لقد تنوعت نشاطات وأعمال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، فقد ترك انتاجا علميا زاخرا في شتى الميادين التاريخية والأدبية والدينية والإعلامية، لقد كان شغوفا بالدراسات التاريخية الوطنية، وصاحب وعي كبير برسالة مؤرخ ساهم في تصفية تاريخ وطنه من الشوائب التي علقت به، وإبراز رموزه وبطولاته وتعريف الأمم والشعوب بالجهد الذي بذله الجزائريون القدامى في البناء الحضاري والثقافي والعلمي، وقد تجسد اهتمامه وشغفه من خلال الكثير من الكتب التي ألفها.

نذكر منها:

أ- تاريخ الجزائر العام: عبارة عن موسوعة ضخمة، تولى الشيخ توسعته وتنقيحه من طبعة إلى أخرى، وقد طبع أكثر من مرة (10مرات)، وقد صدر لأول مرة سنة 1953 م في جزء واحد، ثم صدر بعدها في جزئين، ثم في أربعة مجلدات ضخمة وصدر أخيرا في خمسة أجزاء.

يشتمل الكتاب على إيجاز واف مفصل لتاريخ القطر الجزائري في جميع أطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية، مع تراجم لعباقرة وأرباب القرائح من مشاهير الجزائريين منذ أقدم العصور إلى غاية تأليفه.

لقد ركز الجزء الأول على تعريف التاريخ وعلاقته بالقومية، وخصص جزءا ضئيلا منه لتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي، ثم توسع في التاريخ منذ الفتح.

ب- ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب: عرض فيه الجهود العلمية والخدمات الكبيرة لأبي شنب في ميدان تحقيق التراث، رحبت به مجلة الشهاب ودعت إلى اقتنائه، نشرته المطبعة العربية سنة 1933 م.

ح- تاريخ المدن الثلاث (الجزائر- المدية- مليانة): تم تأليفه بمناسبة مرور ألف سنة على تأسيسهم من قبل "بولوغين بن زيري الصنهاجي"، وقد عرض هذا الكتاب باستفاضة وتوسع لتاريخ المدن الثلاث، مركزا على التطورات والتحولات التي شهدتها منذ تأسيسها، صدر سنة 1972 م.

د- ابن خلدون في الجزائر: تحدث فيه عن العلامة ابن خلدون حينما كان مستقرا بالجزائر.

هـ- الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر: نشرته إدارة التربية الوطنية بالجزائر.

و- الثقافة والحضارة والعمران بالجزائر: سلط فيه الضوء على أهم المعالم الإسلامية والآثار الخالدة بالجزائر.

ز- المستشرقون الفرنسيون والحضارة الاسلامية: أبرز فيه رؤية عدد من المستشرقين الفرنسيين للثقافة والتراث الاسلامي، وقد اعتمد هذا الكتاب على التحليل والتعمق.

يضاف إلى ذلك بعض من مؤلفاته:

- الحج إلى بيت الله الحرام 1947 م.
- المولد والهجرة (مسرحية) 1949 م.
- فن التصوير والرسم عبر العصور الإسلامية.
- عناصر الفقه المالكي.
- فنون الطلاسم.

ومن أعماله التي لا تزال مخطوطة نذكر كتاب "الاستشراق الغربي والثقافة الاسلامية"، "تاريخ الموسيقى العربية"، "شرح على كتاب الجوهر المرتب في العمل على الربع المجيب"، يضاف إلى ذلك مجموعة من المقالات المتنوعة في عدة مجالات، كما شارك في الملتقيات المختلفة.

لقد احتل الشيخ الجيلالي مكانة علمية راقية، فالمتطلع لمسيرته يقف إجلالا واحتراما لهذه الشخصية العلمية المتميزة بأعمالها وإبداعاتها الكثيرة والمتنوعة في شتى حقول المعرفة.

يمكن تقسيم مراحل المدرسة الجزائرية الحديثة إلى مرحلتين:

01– مرحلة الدراسات التاريخية وتحقيق التراث من 1830 إلى 1914 م: غلبت عليها حركة إحياء التراث ونشر المصادر التاريخية الجزائرية من تأليف وتراجم شخصيات ورحلات، وقد مثل هذه المرحلة العديد من المؤرخين نذكر منهم:

أولا: حمدان بن عثمان خوجة (1189–1261 هـ/1773–1840 م):

يعتبر حمدان خوجة من أهم الشخصيات السياسية التي أثرت في الحياة الوطنية للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، كونه كان مستشارا في حكومة الداي حسين، ولد سنة 1773م بالجزائر العاصمة، ينتمي إلى أسرة جزائرية عريقة تملك الأراضي الشاسعة والمحلات التجارية في مختلف أنحاء العاصمة، ساعدته الظروف الاجتماعية بأن يتعلم، فقد كان أبوه من فقهاء الجزائر وأمينا عاما للإيالة وكان المشرف على الحسابات الإدارية وسجلات أسماء ورتب الانكشاريين، وكان عمه أمين بيت المال.

انتهى حمدان خوجة من مرحلة التعليم الأولى وهو في سن الـ11 ثم باشرها بالتعليم الثانوي تحت إشراف والده، حيث تمكن من دراسة علم الأصول والتاريخ والمنطق والفلسفة، وملما باللغات التركية والفرنسية والإنجليزية، ساعدته رحلاته المتعددة إلى البلاد الإسلامية والأوروبية مثل مصر وتونس وليبيا وإيطاليا وفرنسا وإنجلترا في صقل شخصيته وفي تكوينه الأكاديمي والسياسي.

سمحت هذه الثقافة لحمدان خوجة بالاطلاع على ما يجري في أوروبا والعالم الإسلامي والإلمام بأحوالهما والاتصال بشعوبهما، ومعرفة خبايا الأنظمة القائمة والتي أدت إلى تأثره بما رآه من تخلف في العالم الإسلامي، إلا أنه توسم أن يرى يوما العالم الإسلامي متفتحا متحضرا رافعي لشعار العلم والمعرفة.

أصبح حمدان خوجة من أنشط السياسيين بعد الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830 م، ونظرا للسياسة الفرنسية العدائية اضطر لمغادرة الجزائر بعد أن يئس من الحد من الإجراءات التعسفية الاستعمارية، وبعد أن أدرك نوايا وأبعاد السلطة الاستعمارية الفرنسية التوسعي، متتبعا التطورات الحاصلة بالجزائر، ومواظبا على التأليف والترجمة والقراءة حتى وافته المنية أواخر سنة 1840 م، ودفن بمقبرة الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري والأرجح أنه توفي سنة 1845 م.

وفيما يلي أهم ما تركه من أعمال.

01– كتاب المرآة: ألفه في باريس سنة 1833 م باللغة العربية، ثم ترجمه صديقه حسونة الدغيس تحت عنوان: (Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger intitulé le miroir)

"لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر"، ثم ترجم إلى اللغة التركية، كان الغرض من تأليفه وترجمته إطلاع الحكومة الفرنسية على مساوئ الإدارة المدنية بالجزائر الناتجة عن الاحتلال.

هذا الكتاب يأخذ طابع التقرير، ويعتبر من الوثائق التاريخية التي فضحت جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فهو وثيقة تاريخية سياسية شاهدة على ما كانت عليه الجزائر قبل الاحتلال وبعده ببضع سنين.

02– مذكرة مقدمة إلى اللجنة الإفريقية Lu commission d'Afrique

في 14 جويلية 1833 م قدمت هذه اللجنة إلى الجزائر للتحقيق في الأوضاع التي آلت إليها جراء الاحتلال الفرنسي، لم يقتنع حمدان خوجة بوعود رئيسها لذلك كتب رسالة للجنة التالية في باريس بتاريخ 1833/10/26، ندد فيها بالمجاز التي قام بها الدوق "دو روفيقو" في حق قبيلة العوفية بغار جبال الظهرة بضواحي العاصمة سنة 1832 م، وأبدى فيها مواقف وطنية.

03– اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء: ألفه باللغة العربية سنة 1252 هـ/1836 م ثم ترجمه إلى التركية وأهداه إلى السلطات محمود الثاني كمبادرة منه في ميدان الإصلاح في العالم الإسلامي، عالج فيه الضعف الثقافي في الجزائر والذي كان جزءًا من الضعف الحضاري للعالم الإسلامي، وفيه يطرح قضية الأصالة والمعاصرة، فإليه يعود السبق في طرح هذا الإشكالية، ويلاحظ من خلاله أن فكره متفتح على الثقافات والحضارات بمختلف أنواعها.

04– حكمة العارفين بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع: وهي رسالة ألفها سنة 1937 م، وهي تأييد لآراء الإمام أبي حامد الغزالي، وهذا دليل على أن حمدان خوجة مطلع على الفكر الإسلامي، وخاصة فكر أبي حامد الغزالي، وهذا ما يؤكد انتماؤه للأشعرية، ويذكر بعض الشخصيات الفكرية الإسلامية مثل: "ابن عطا الله السكندري"، "أبو الحسن الشاذلي" و"داود الأنطاكي" وغيرهم.

05– نور الإيضاح ونجاة الأرواح: كتاب للشيخ حسين الشرنبلالي الحنفي (1585–1659 م) نقله حمدان خوجة من العربية إلى الركية سنة 1839 م وأسماه "إمداد الفتاح" وهو كتاب في فقه المذهب الحنفي.

– له مخطوط ضخم في حوالي 456 صفحة انتهى من نسخه في شهر ذي القعدة سنة 1249 هـ/1833 م.

يمكن القول أن حمدان خوجة من المقاومين الجزائريين المفكرين الذين كتبوا عن بدايات الاحتلال، له حس وطني فياض، وله رؤى قومية بكل العمق الحضاري لهذا الانتماء: العروبة والإسلام.

ثانيا: محمد بن أبي شنب (1969– 1929).[1]

هو محمد بن العربي، محمد بن أبي شنب الجزائري، أديب وباحث وأحد أعلام المغرب العربي في نهاية القرن 19 م، وبداية ق 20 م، وهو أحد رواد النهضة العربية الحديثة، وأول جزائري حامل لشهادة الدكتوراه في العصر الحديث، ولد بمدينة المدية عام 1869 م، فيها تعلم ونشأ، وصار واحدا من علماء اللغة العربية رغم اتقانه للفرنسية، شغل أستاذا للآداب العربية في جامعة الجزائر، شارك في العديد من المؤتمرات على غرار: مؤتمر المستشرقين في الرباط سنة 1928 م، ومؤتمر المستشرقين بمدينة أكسفورد، كان متقنا لعدة لغات منها العربية والفرنسية والفارسية والإيطالية والتركية والإسبانية، انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1920 م، وعضوا في المجمع العلمي الاستعماري في باريس.

قام محمد بن أبي شنب بنشر التراث العربي الإسلامي، واتضحت اهتماماته في دراسة التراث التي أهلته للحصول على درجة الدكتوراه في التراث عن "أبي دلامة" سنة 1922 م، استطاع بين سنة 1904 و1927 أن ينشر العديد من كتب التاريخ والرحلات والأدب والعروض والمنطق، وظهرت علاقته بالاستشراق في مؤلفاته ونصوصه وفي تحقيقه للنصوص والتعريف بالتراجم.

مؤلفاته:

له عدة مؤلفات قام بتحقيقها نذكر منها:

01– رحلة الورثلاني (1908 م): والمسماة "**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**"، وهي رحلة معروفة (مخطوط) للعلامة الشيخ الحسين بن محمد السعيد المعروف بالورثلاني، تعد مصدرا مهما في تاريخ الجزائر خاصة وتاريخ العالم العربي عامة (تونس وليبيا ومصر وبلاد الحجاز)، ترجم فيها العديد من الشخصيات، وذكر آثارهم، وصف من خلالها وضعية الجزائر خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، حوى هذا المؤلف فوائد تاريخية وجغرافية عالية القيمة.[2]

[1]- حول هذه الشخصية ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج، ص ص168- 173.

[2]– حول الرحلة ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص ص393- 398.

02– البستان في ذكر العلماء والأولياء في تلمسان (1908): هو مخطوط لأبي عبد الله محمد الشريف المليتي التلمساني الشهير بابن مريم، رتب فيه المؤلف تراجم العلماء، وأورد لهم تراجم تختلف تبعا لحجم العلم المترجم له على حروف الهجاء (ألفبائي)، انتهى من تأليفه سنة 1011 هـ، بمدينة تلمسان، يعتبر هذا الكتاب مصدرا بالغ الأهمية في دراسة الحياة العلمية والثقافية بمدنية تلمسان خاصة والمغرب الأوسط عامة، نظرا لحركة العلماء، وترددهم على حوافر العلم والثقافة خلال العصر الوسيط.

03– الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (1910 م): لمؤلفه أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني البجائي، خصص في الترجمة لعلماء بجاية ونواحيها خلال ق 07 هـ، ويعد هذا الكتاب أثرا علميا نفيسا يكشف عن الازدهار العلمي والأدبي ببجاية، كما يطلعنا على النشاط التعليمي الذي يتبعه أهل هذه المناطق في طلب العلم والآداب، وبالتالي يعتبر مصدرا أساسيا لمؤرخي الأدب والحياة العقلية في هذه الفترة.

04– الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية (1921 م): لعلي بن أبي زرع الفاسي، نشره ابن أبي شنب مصححا ومحققا.

05– تدميث التذمير في التأنيث والتذكير: هي منظومة لبرهان الدين الجعبري حققها سنة 1911 م.

06– الفارسية وعلماء افريقية وتونس: لأبي العربي، وهو في جزئيين تم تأليفه سنتي 1915 و1920 م.

07– الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: لابن قنفذ القسنطيني.

08– وطرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار: لمؤلفه الشيخ محمد العربي المشرفي الغريسي.

09– وصايا الملوك وأنباء الملوك من أولاء الملك قحطان بن هود النبي.

10– قضاة قرطبة وعلماء إفريقية: لمؤلفه أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي.

11– شرح ديوان علقمة: للأعلم الشنتمري سنة 1927 م.

12– شرح ديوان عروس بن الورد: لابن السكي وكان ذلك سنة 1926 م.

13– شرح شواهد جمل الزجاجي في النحو: وكان ذلك سنة 1927 م.

14– تحبير المشين في التعبير بالسين والشين: لصاحبه الفيروز آبادي سنة 1927 م.

15– شرح الشنتمري لشعر امرئ القيس.

تعتبر هذه المؤلفات في مجملها من المصادر الرئيسية في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي وخاصة في جانبه الحضاري، إذ أن أغلبها يتناول بالدراسة الحركة العلمية التي شهدتها بلاد المغرب.

ثالثا: أبو قاسم الحفناوي:

هو أبو قاسم محمد الحفناوي (1266- 1360هـ/ 1850- 1942 م) بن الشيخ أبي القاسم الملقب والمعروف بابن عروس بن الصغير بن محمد المبارك الديسي، يتصل نسبه بولي مدينة بوسعادة، صاحب الضريح الشهير بسيدي إبراهيم وأمه السيدة خديجة بنت الشيخ المازري الديسي.

كان والده من أعيان علماء عصره في اللغة والأدب والفقه، حفظ القرن الكريم واستدعي للتدريس بمختلف زوايا البلاد ومعاهدها الدينية، تخرج على يده عدد كبير من الطلبة ومنهم الشاعر المؤلف الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي الكفيف.

أخذ الحفناوي مبادئ العلوم عن والده، كان سريع الحفظ، انتقل إلى الاتصال بمشايخ كبار معاهد العلم والزوايا في عصره، حيث نزل في زاوية طولقة واتصل بمؤسسها فأخذ عنه وعن الشيخ مصطفى بن عبد القادر، ثم انتقل إلى زاوية ابن أبي داود بتاسيلت حيث قضى بها مدة ثلاث سنوات، أخذ فيها علوم القرآن الكريم، ودرس الفقه والفلك، ثم عاد إلى بوسعادة، والتحق بزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي مؤسس زاوية الهامل.

نزل الشيخ الحفناوي إلى العاصمة سنة 1883 م، حاملا معه كتبا في فنون عدة، تعرف على فئة من العلماء منهم الشيخ علي بن الحفاف المفتي المالكي ومدرس الجامع الكبير، والشيخ محمد القزادري والشيخ حسن بريهمات مدير المؤسسة الذي اقترح عليه ليكون أستاذا بالمدرسة، ولكنه رفض.

إن ثقافة الشيخ الحفناوي كانت دينية ولغوية وأدبية مستمدة من التراث ومحاكية له، ثم طعمها بثقافة فرنسية، ساعده في ذلك تمكنه من اللغة الفرنسية والتي دمجها مع رصيده الديني والأدبي فكانت النتيجة جملة من المؤلفات نذكر منها:

01– تعريف الخلف برجال السلف: صدر سنة 1906 م، ساهم بكتابه في إحياء التراث الجزائري القديم والحديث، ليؤكد أن للجزائر عبر عصورها أعلام وعلماء، وأنها كانت نبعا للعلوم والمعارف والآداب.

02– الخير المنتشر في صحة البشر: طبع هذا الكتاب بالجزائر سنة 1908 م، ونشرته الإدارة الفرنسية في عهد "شارل جونار" وهو ترجمة لكتاب التدابير الصحية للحكيم "دركل".

03– القول الصحيح في منافع التلقيح: قامت بنشره أيضا الإدارة الفرنسية.

04– رفع المحل في تربية النحل: موجه إلى المسلمين لتعليمهم كيفية تربية النحل.

05– المستطاب في أقسام الخطاب.

06– أرجوزة في جغرافية ابن خلدون.

أما المؤلفات غير المنشورة فهي:

07– غوص الفكر في حروف المعاني: وقد شرحه بنفسه تحت عنوان " ثوغ الدرر على غوص الفكر".

08– الأقاليم السبعة.

أما المقالات والبحوث العلمية فقد صدرت في أغلبها في جريدتي "المبشر" و"كوكب إفريقيا".

الخاتمة

حاول مؤرخو هذه الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر مد يد العون إلى كل جزائري ليعرف وطنه من خلال مؤلفاتهم المتنوعة، فقد اهتموا بخدمة التراث وتحقيق المخطوطات ونشرها وهذا من الأعمال الجليلة التي ينبغي أن يعتني بها الباحثون، إضافة إلى التعريف بعلماء الجزائر خاصة والمغرب الإسلامي عامة من خلال التراجم لهم.

مقدمة

لم يظل الاهتمام بالتاريخ الوطني الجزائري حكرا على الإصلاحيين المعربين، بل ظهر مؤرخون جزائريون مارسوا النضال في حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم في جبهة التحرير الوطني، وكتبوا التاريخ الوطني باللغة الأجنبية ابتداء من سنوات 1940 و1950 م، وهذا ما سمح بوصوله إلى شرائح واسعة من القراء سواء الجزائريين أو غيرهم من الناطقين باللسان الأجنبي، حاولوا الانخراط في كتابة تاريخية أكثر جدية بطرح واقعي وموضوعي.

ومن بين المؤرخين الوطنيين الذين كتبوا بالفرنسية نذكر: مصطفى الأشرف الذي ألف كتاب" الجزائر الأمة والمجتمع " ومحمد الشريف ساحلي صاحب كتاب (Décoloniser l'histoire)، ومحي الدين جندر، ومحمد حربي ومحساس وغيرهم، هؤلاء ناهضوا ضد تحريف التاريخ من قبل المدرسة الاستعمارية الفرنسية سواء قبل الاستقلال أو بعده.

وهناك مجموعة كبيرة من المؤرخين الجزائريين الذين حاولوا كتابة تاريخ شامل لكل الحقب من العصر القديم إلى غاية الفترة المعاصرة مع محاولة ربط التاريخ الجزائري بالمشرق الإسلامي ردا على الإيديولوجيا الاستعمارية الفرنسية، التي اجتهدت في إيجاد مسببات الوجود الفرنسي الاستعماري لها بالجزائر، من خلال حقائق تاريخية مهمة، إلى جانب رسالتها التربوية وهدفها الوطني.

لقد عرفت الكتابات التاريخية وضعا مغايرا وظروفا مستجدة أثرت في توجهها واهتماماتها ونوعيتها ومواصفاتها، ففي الفترة الأولى، أي الستينات والسبعينات من القرن العشرين (1962- 1972 م) خضعت في مجملها لتوجهات ايديولوجية (اشتراكية) وميول سياسية (يسارية) ومهد لما تحول نوعي في النظرة وكمي من حيث الانتاج نتيجة المد التحرري الذي حد في الخمسينات من النظرة الاستعمارية، وهذا ما عبرت عنه مقررات ولوائح المؤتمرات الحزبية، وشجعت عليه توجهات الدولة الجزائرية وما حملته من مشروع وطني للتنمية الفتية، ودعمها تزايد عدد الخريجين الجزائريين من مختلف الجامعات وحصولهم على درجات علمية سمحت لهم بالتخصص في البحث التاريخي والاهتمام به، رخاصة قضايا التاريخ الجزائري الحديث.

وكانت جامعة الجزائر في الستينات فرنسية المناهج والتنظيم إلى غاية الإصلاح الجامعي في بداية السبعينات، وفي هذه الفترة ظهر جيل جديد من المؤرخين، كان من ضمنهم مجموعة من عروبيي الفكر واللغة، وعلى رأسهم:

أولا: أبو قاسم سعد الله (1930– 2013م):

01– المولد والنشأة

باحث ومؤرخ ولد بمدينة "قمار" إحدى مدن وادي سوف، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين انتقل إلى جامع الزيتونة وبقي فيه حتى سنة 1954 م وحصل هناك على شهادة الأهلية، وفي أكتوبر من سنة 1955 م، سافر إلى القاهرة والتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وبعد أربع سنوات حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وحاز على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962 م، ثم انتقل في نفس السنة إلى الو.م.أ حيث درس في جامعة مينيسوتا التي حصل منها على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر باللغة الإنجليزية سنة 1965 م وتخصص في التأليف والترجمة، وكان حينها أستاذا مساعدا في التاريخ بجامعة "ويسكونسن أوكلير" بأمريكا ليعود بعد ذلك إلى الجزائر، حيث أصبح وكيل كلية الآداب بجامعة الجزائر 1968– 1972 م، ثم أستاذا ورئيس قسم التاريخ فيها.

انتقل الفقيد بتاريخ 1996 م، إلى الأردن ودرس التاريخ في جامعة "آل البيت" إلى أن عاد إلى الجزائر والتحق بالجامعة الجزائرية مجددا سنة 2001 م، ومنذ ذلك الوقت لم يترك التدريس في الجزائر، وأشرف على العشرات من رسائل الدكتوراه والماجستير، فأنتج أعمالا ضخمة بشأن تاريخ الجزائر جمعت بين الدراسات والترجمة وتحقيق المخطوطات، وقد أعطى لتاريخ الجزائر بعده الثقافي والحضاري، وهو بذلك يسير في ركب المدارس الغربية في توسيع الدراسات التاريخية لتشمل الفكر والثقافة والاقتصاد.

02– مؤلفاته: ومن أبرزها

أولا– في مجال التاريخ

أ– تاريخ الجزائر الثقافي: كتاب موسوعة ألم بمظاهر الثقافة الجزائرية من تفسير للقرآن والشريعة إلى الفنون الجميلة والموسيقى، وتظهر أجزاء عديدة العادات الإسلامية المتعلقة بحياة العلماء، ويشمل المجلدان الأولان الفترة الممتدة من سنة 1500 إلى سنة 1830 م، أي من الفترة التي سبقت العهد العثماني إلى بداية الاحتلال الفرنسي، وتشمل المجلدات الستة الموالية عهد الاحتلال الفرنسي، ويتضمن المجلد الأخير فهرسا شاملا.

يعالج الكتاب مجالا واسعا، إذ يلم بأشهر العلماء المسلمين الجزائريين والزعماء الدينيين، وفي نفس الوقت يتطرق إلى المثقفين الفرنسيين والمترجمين والمستشرقين، كما يتناول المسلمين الجزائريين ذوي الثقافة الفرنسية ومزدوجي الثقافة.

يمتاز أسلوبه الموسوعي بشمولية مطلقة العنان وتجزئة دقيقة حسب المواضيع في وقت واحد من الدراسة الأحادية، وهي الطابع العلمي الغربي الذي طغى على كتابة تاريخ الجزائر في الفترة التي تلت الاحتلال، فيدخل هذا الكتاب في الحسبان التحري عن شخصيات وأحداث وموضوعات لم يتفطن علماء ومؤرخون توجههم الاهتمامات النظرية الضيقة.

ب– الحركة الوطنية الجزائرية: وجاء في ثلاثة أجزاء بلغ عدد صفحاته 1223 صفحة طبع في دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، يتناول الجزء الأول الفترة الممتدة من 1830 إلى 1900 م، مقسم إلى اربعة فصول، أما الجزء الثاني فيتناول الفترة الممتدة ما بين 1900 و1930 م مقسم إلى سبعة فصول، أما الجزء الثالث يتناول الفترة من 1930 إلى غاية 1954 مقسم إلى تسعة فصول.

ج – **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر:** يتشكل من خمسة أجزاء بلغ عدد صفحاته 1772 صفحة في طبعة خاصة سنة 2009 عن عالم المعرفة، ولقد تضمن معطيات علمية غزيرة وموضوعات متنوعة تتعلق بكتابة التاريخ وعلماء الجزائر والرحلات والحركة الوطنية والثورة الجزائرية والسيرة الذاتية للأمير عبد القادر وقضايا مرتبطة بالعلاقات التجارية بين المغرب العربي وإفريقيا إلى غير ذلك من الموضوعات التي قد لا نجدها في غيره من الكتب.

د – محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال): من إصدار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، يشمل دراسة الفترة الانتقالية من العهد العثماني إلى العهد الفرنسي في الجزائر.

ثانيا– في مجال التحقيق

رغم شهرته في ميدان التاريخ والأدب إلا أننا نجد له حضورا هاما في تحقيق المخطوطات الجزائرية والدعوة إلى نشرها مهما تفاوتت أهميتها وتنوعت أغراضها باعتبارها تراثا قوميا، لذا حقق عددا من المخطوطات التي تعود إلى تاريخ الجزائر الحديث مثل:

أ– رحلة ابن حمادوش الجزائري لسان المقال عن النسب والحسب والحال: لعبد الرزاق بن حمادوش، التي نشرها عام 1983 م، وهو عبارة عن رحلة احتوت على مصادر مهمة للتعرف على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في الجزائر والمغرب في القرن 18 م.

ب– منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية: لعبد الكريم الفكون، ونشره عام 1987 م، تناول جانب التصوف في تاريخ الجزائر الحديث كما يعكسه عبد الكريم الفكون القسنطيني.

ج- تاريخ العدواني: مبرزا أهمية هذا المخطوط التي شرحها في قوله:"... إن كتاب العدواني يدخل من جهة فيما يسمى بالتاريخ المحلي، فهو يؤرخ لحياة القبائل التي استوطنت الجنوب الشرقي من الجزائر والجنوب الغربي من تونس وأصولها العربية ومسيرتها من المشرق إلى المغرب وصراعها ضد الحكام من حفصيين وعثمانيين، كما يؤرخ لحياة الناس تحت حكم المغامرين من مختلف المدن طرابلس، قفصة، القيروان، توزر، بسكرة، قسنطينة...، وفي أثناء ذلك يتحدث عن المرابطين ودورهم، وعن الحكام وعلاقتهم بالأجانب كالإسبان.

د- رسالة الغريب إلى الحبيب: لمؤلفه أحمد بن أبي عصيدة البجائي، والكتاب عبارة عن مراسلة بعث بها من الحجاز إلى صديقه ابي الفضل المشدالي بمصر.

هـ- حكاية العشاق في الحب والاشتياق: من تأليف الأمير مصطفى بن ابراهيم باشا، والكتاب عبارة عن رواية أدبية تاريخية تروي مغامرات عاطفية جرت بين ابن الملك وزهرة الأنس بنت التاجر.

كما حقق قطعا صغيرة مخطوطة، مثل وثيقة وقفية كتبها ابن مرزوق التلمساني (766 - 842) إلى أحد أهالي مدينة توزر التونسية، التي نشرها في شكل مقال بالمجلة التاريخية المغربية (تونس)، في العددين 17 و18 في جانفي 1980، حيث وضع لها مقدمة، ووصفها من حيث الخط والكاتب والتاريخ، وعرف بعض أعلامها، ثم نشرها كما وردت.

وعلق على مخطوط" ري الغليل في أخبار بني عبد الجليل من سلاطين بني فزان " لمحمد بن عبد الجليل الفزاني (القرن التاسع عشر الميلادي)، فوصفه وصفا سريعا، وبين مكان تواجده(المكتبة الوطنية الفرنسية)، ودعا إلى تحقيقه.

ثالثا- في مجال الترجمة

كان سعد الله موسوعة في الترجمة بحق، فقد ترجم في الأدب: "رسائل توماس كامبل عن الأدب الجزائري باللغة الإنجليزية"، ونشرها في كتابه دراسات في الأدب الجزائري الحديث، وترجم في السياسة والتاريخ وغير ذلك مما نشره في مختلف إصداراته .. إلا أنه كان يترجم حسب المرحلة التاريخية التي عاشها، أو حسب ارتباط عمله بإصدار أو بحث يقوم به، وعليه جاءت ترجماته مقصودة في مجملها وليست عفوية، والقارئ لترجماته على اختلافها يلاحظ بأن أغلبها تميز بتغيير في العناوين بعد ترجمتها لأسباب متعددة وأهداف مدروسة تفرضها الحاجة أحيانا أو لآرائه الخاصة أحيانا أخرى، وقد بدل بعضها واختصر البعض الآخر وأبقى على القليل منها مع إبداء ملاحظاته على الأصل.

وفيما يلي نورد بعضا من هذه الترجمات:

أ- ترجمة كتاب جون ب وولف (The Barbary Coast: Algiers under the Turk)، "الساحل البربري: الجزائر تحت الأتراك"، ترجمه تحت عنوان "الجزائر وأوروبا 1500- 1830 م"، وهو عنوان مغاير تماما للأصل، غابت فيه المادة الأصلية للعنوان، ذلك أن المؤلف من خلال عمله حكم حكما على الجزائر واتهمها بالضعف والتبعية، والمترجم دفاعا عنها ولغيرته على وطنه غير العنوان بما يوحي بالندية ليحفظ لبلده مكانتها ولكي لا يشعر قارئ النسخة العربية بالسوء.

ب- وفي ترجمته لكتاب شارلز هنري تشرشل:

(The life of Abdel Kader, exsultan of the Arabs of Algeria; written from his own dictation, and compiled from other authentic sources. By Colonel Churchill)

"حياة الأمير عبد القادر، السلطان السابق لعرب الجزائر، كتب من مذكراته وجمع من مصادر موثوقة أخرى. من طرف الكولونيل تشرشل)، حذف المترجم العنوان الأصلي كلية، وترجمه بـ: "حياة الأمير عبد القادر. تأليف شارلز هنري تشرشل"، مقلصا عنوانه إلى ثلاث كلمات، بعد أن كان عبارة كاملة، ربما ألن الكتاب يتحدث عن حياة الأمير عبد القادر الذي يعرفه القارئ العربي ولا حاجة لإعلامه بأنه سلطان عرب الجزائر، فهو أميرهم وقائد ثورتهم تجاه المستعمر، وهو الكتاب الذي قال عنه الشيخ أنه وجد فيه المتعة قارئا ومترجما نظرا للتجربة الكبيرة التي خاضها في ترجمته.

ج- أما في كتاب أدريان بيربروجير:

(Voyage au camp d'Abd-el-kader à Hamza. en Décembre 1837 et Janvier 1838) والذي ترجمته الحرفية "رحلة إلى مخيم عبد القادر في حمزة في ديسمبر 1837 وجانفي 1838"، فقد ترجمه بعنوان: "مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير عبد القادر في البويرة 1837- 1838"، حيث لم يعتمد مبدأ الاختصار في الترجمة، وإنما غير العنوان تغييرا مع الشرح والتفسير، بحيث أضاف عددا من المعلومات تفهم بعد قراءة المتن، وذلك بتقديم إشارة موجزة عن هذه الرحلة ومكانها، ومن قام بها، ولأن الكتاب يدخل في أدب الرحلات، فقد خصه المترجم بكثير من الاهتمام، الذي يبرز من خلال المقدمة 11 (صفحة) التي ذكر فيها تفاصيل الرحلة وأسباب ترجمتها وغير ذلك، بلغة راقية وأسلوب شيق.

ومن خلال بعض تعليقاته على الكتب التي ترجمها، نشر مقالا في جريدة الشعب بتاريخ 22 / 23 مارس 1987 بعنوان: "**نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائري**"، وهو في الأصل إنجليزي بعنوان "من خلال العيون الأجنبية

وجهات النظر الغربية نحو إفريقيا" (Through Foreign Eyes Western Attitudes Towards North) حيث غير العنوان تغييرا جذريا، يوحي بأن الأمر ليس له علاقة بالأصل الإنجليزي، لأسباب وجوب مراعاة المترجم خلال ترجمته للمتلقي العربي والجزائري على وجه الخصوص وجود ما يسيء للجزائر، ولو على حساب الأصل.

رابعا– في مجال الإعلام والشخصيات الثقافية: اهتم سعد الله بتتبع آثار العلماء الجزائريين الذين كانت لهم اسهامات فكرية وتعليمية نذكر منهم:

أ– رائد التجديد الإسلامي، ابن العنابي المتوفي في 1850 م، صدر سنة 1990 م، تناول فيه المؤلف بالدراسة التحليلية المستقصية عصر وحياة وآثار الشيخ محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الشهير بابن العنابي، صاحب كتاب ''السعي المحمود في نظام الجنود'' وغيره من المؤلفات القيمة، وعلى دوره في عصره وعلى مدى صالحية أفكاره وبقائها.

ب– كتاب حول "شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة" صدر سنة 1960 م، تركه مخطوطا وتولى الشيخ البشير الإبراهيمي نشره في القاهرة بعد أن سافر سعد الله إلى أمريكا، حيث خصص الكتاب كله لدراسة شعر محمد العيد آل خليفة متبعا المنهج التاريخي في إطار المفاهيم النقدية والإجراءات التحليلية، بالإضافة إلى محاولة توخي صاحبه العلمية والموضوعية في المناقشة والتحليل.

ج– شيخ الإسلام داعية السلفية عبد الكريم الفكون صدر سنة 1986 م، وهي دراسة لحياة وآثار شخصية نابضة من شخصيات العالم الإسلامي في عصور الانحطاط، وهو عبد الكريم الفكون، الملقب بشيخ الإسلام، الذي عاش خلال القرن 17 م، في الوقت الذي اشتدت فيه القطيعة بين العالم الإسلامي الجامد والعالم الأوروبي المتحرك، وازدهر فيه التصوف المزعوم وانتشرت الأمية في المجتمعات الإسلامية، واستولى فيه على مقاليد السلطة حكام جهلة، في هذا الجو ظهر شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، فحمل معول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجاهد في سبيله.

د– كتاب القاضي الأديب محمد الشاذلي القسنطيني صدر سنة 1984 م، درس هذا الكتاب سيرة الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني (1807– 1877 م) من خلال رسائله وشعره، وقد عالج فيه المؤلف عصر الرجل وحياته، ورحلاته إلى أوروبا، ومراسلاته وبعض مواقفه، وعلاقته بالأمير عبدالقادر، وشعره وشاعريته.

هـ– كتاب عن الطبيب الرحالة عبد الرزاق بن حمادوش، كما كتب عنه بحثا آخر بعنوان ''عبد الرزاق بن حمادوش ورحلته لسان المقال''، وأيضا قام بتحقيق ونشر رحلته ''لسان المقال''، وله بحث آخر عنه بعنوان''رسالة في الكرة الفلكية لابن حمادوش''.

و- باحث مغمور نور الدين عبد القادر أفرد سعد الله هذا الكتاب لترجمة عالم ومثقف معاصر خدم العربية والتراث الإسلامي في الجزائر خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي، وقضى حياته مدرسا ومترجما وكاتبا، إنه الأستاذ عبد القادر الحميدي أو نور الدين عبد القادر كما عرف بين المعاصرين، والذي عاش في الجزائر ما بين 1890 1981 م بعيدا عن الأضواء غير مشارك في الحياة العامة، حتى أنه لا يعرفه من الجزائريين إلا القليل.

خامسا- في مجال الأدب والفكر: نذكر مجموعة من المؤلفات منها:

- أفكار جامحة 1988 م.
- تجارب في أدب الرحلة 1986 م.
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث 1966 م.
- الزمن الأخضر.
- ديوان سعد الله الشعري 1985 م.
- في الجدل الثقافي1993 م.
- سعفة خضراء(قصص) في 1986 م.
- قضايا شائكة 1988 م.
- منطلقات فكرية 1982 م.
- هموم حضارية في 1993.

بالإضافة إلى كم هائل من البحوث والمقالات التي نشرها في عدة مجلات.

ومن هذا المنطلق نجد أن كتابات سعد الله في عمومها تميزت بالطرح الموضوعي والعلمي نظرا لاعتمادها على مناهج علمية أصيلة باسترداد الأحداث التاريخية وتحليلها بطريقة موضوعية، فالمؤرخ أبو القاسم سعد الله من الذين أثروا الكتابة التاريخية والفكرية الجزائرية المعاصرة بما أنتجه من مؤلفات كثيرة وغزيرة تنوعت بين التأليف والتحقيق والترجمة أرسى بها قواعد المنهج الأكاديمي، فهو يعتبر بحق أحد لبنات التاريخ الوطني وأحد أهم مرجعياته.

المحاضرة العاشرة: المدرسة التونسية الحديثة وروادها

مقدمة

بعد فترة من الركود في تونس دامت 15 سنة من 1881 تاريخ انتصاب الحماية إلى غاية 1896 تاريخ تأسيس الجمعية الخلدونية، اتجه المثقفون التونسيون إلى العناية من جديد بالتاريخ التونسي، إبرازا لعظمته وتحريكا للهمم لبحث مستقبله على نحو ما تقتضي عظمة ماضيه.

وكانت دروس التاريخ بالخلدونية تحرك العناية بمباحث التاريخ والحرص على إحياء الآثار التونسية والتنويه بالماضيين من عظماء التاريخ ورجال العلم والأدب، ففتحت الصحف التونسية أعمدتها لنشر المقالات عن المعالم الأثرية الإسلامية وأعلام التاريخ الإسلامي.

1- روادها

أ- البشرر صفر 1865 – 1917: يعتبر من أبرز قادة الحركة الفكرية بتونس أواخر القرن 19م وأوائل القرن 20م، حتى استحق لقب "أبي النهضة التونسية الثاني" بعد خير الدين باشا التونسي، ويعتبر من مؤسسي الجمعية الخلدونية وقد استرعى البشير صفر الانتباه بدروسه القيمة التي كان يشرح فيها الحقائق الاستعمارية، ويسلط الأضواء على الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، ويكشف النقاب عن الأخطاء والنقائص المتسببة في ضعف أغلب البلدان الإسلامية وبفضل تلك الدروس ذاع صيته بين شبان ذلك الجيل.

ولد بمدينة تونس يوم 27 فيفري 1865، درس في المدرسة الصادقية أوفدته الحكومة التونسية لإتمام دراسته الثانوية بمعهد "سان لويس" بباريس زار خلالها معالم العاصمة الفرنسية ودرس هندستها المعمارية وتاريخها.

أما المواضيع التي كان يتطرق لها في محاضراته فيمكن تلخيصها فيما يلي:

- ظهور الإسلام وانتشاره.
- بداية الخلافة الإسلامية وتنظيمها.
- الفتوحات الإسلامية واعتناق الأقطار المفتوحة للإسلام.
- فتح شمال إفريقيا والاستيلاء عليه من قبل القواد العرب الذائعي الصيت.
- هجوم الجيوش الإسلامية على أوروبا والتوغل في إسبانيا.

– الثورات البربرية.

– سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

التجأ إلى الجريدة الأسبوعية الناطقة بالعربية "الحاضرة" التي أسسها المرحوم علي بوشوشة وأشرف على خطوطها، فنشر فيها عدة فصول حول المسائل الاجتماعية والسياسية، وكان ينتهز كل فرصة لتنبيه من يهمهم الأمر إلى خطورة الركود الذي يتنافى مع أبسط مقتضيات التطور العصري.

كان بشير دوما وأبدا إلى الأخطار المحدقة بالمجتمع الإسلامي الخامل، فلم يكن همه الدعوة إلى تقليد الغرب تقليدا أعمى، بل كانت غايته حث المضطلعين بمهمة السهر على بقاء المجموعة الوطنية، على نبذ الجمود والسعي إلى التوفيق بين مكاسب حضارة وثقافة لا شك في تفوقهما وبين مستجدات العصر الحديث، سواءً في الميدان الفكري أو في الميدان العلمي، مع الرغبة الصادقة في استخلاص جميع النتائج منها.

نظم بالخلدونية دروسا في اللغة الفرنسية ترمي إلى تدريب طلبة الجامع الأعظم على تلك اللغة وتهدف إلى تمكين مدرسيهم من اكتساب أداة ناجحة تسمح لهم بالتخلص من تلك العزلة الثقافية التي حكم بها عليهم سلطان الرقابة والخوف من المغامرة.

مؤلفاته

– مفتاح التاريخ: صدر سنة 1928، يتضمن مجموعة من الدروس التي ألقاها في الخلدونية من سنة 1897 إلى سنة 1908، تاريخ تعيينه واليا على سوسة، يبحث هذا الكتاب في تاريخ المصريين القدامى والرومان والإغريق والفينيقيين والقرطاجيين، كما بحث في التاريخ الإسلامي وتاريخ تونس في القديم والحديث وكذلك تاريخ بعض الأقطار الأوروبية مثل فرنسا وإيطاليا وانجلترا.

أصيب بمرض عضال في أواسط شهر أبريل 1917 ثم أدركته المنية على إثر عملية جراحية.

ب– محمد بن الخوجة 1869 – 1942 العالم والكاتب والموظف الكبير

ولد في شهر فيفري 1869 وهو رابع أبناء الشيخ البشير بن الخوجة، التحلق بمدرسة الصادقية والتي سرعان ما تعود فيها على حياة المعهد، أقبل على دراسة الآداب العربية إضافة إلى المواد الأخرى كالفرنسية والرياضيات.

انتدب فور تخرجه إلى قسم الترجمة من طرف إدارة الحماية الفرنسية، ثم انتقل إلى قسم المحاسبة، ساهم بانتظام في تحرير جريدة "الحاضرة".

تم انتخابه عضوا في الهيئة المديرة لمعهد الخلدونية الحر الذي تأسس سنة 1896م، أصدر "الرزنامة التونسية" المليئة بالمعلومات التي لم يسبق نشرها والمذكرات التاريخية والأدبية والخلاصات العلمية المتعلقة بأحدث الاختراعات والمكتشفات والنوادر الشيقة" ليعين بعد ذلك مديرا للمطبعة الرسمية سنة 1902م وعضوا في اللجنة المكلفة بتأليف الفهرس العلمي للمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة، واستغل وجوده على رأس المطبعة إلى غاية سنة 1915م لنشر عدد من أبحاثه ومؤلفاته وطبع بعض الكتب التونسية.

ازداد إنتاجه غزارة بعد إحالته على التقاعد عام 1934م فتفرغ للبحث والدراسة وتحرير الفصول التاريخية ونشرها في مختلف الصحف والمجلات التونسية لاسيما "المجلة الزيتونية".

مؤلفاته

– **الشيخ عمر والحاج فتوح:** وهي محاورة بين هذين الشخصين حول آداب رمضان، بسيط في أسلوبه ولغته معانيه وأعراضه، وهو أول تأليف صدر له وكان ذلك سنة 1898م.

– **الرحلة الناصرية:** هي الرحلة التي قام بها الملك الناصر باي إلى باريس سنة 1913م، أخذ معلوماتها من صهره "مصطفى دنقزلي" الذي كان يشغل شيخ مدينة تونس.

– **تاريخ بعالم التوحيد في القديم والجديد:** طبع سنة 1939 وهو خاتمة موسم إنتاجه الفكري الذي دام 43 عاما.

– **الرحلة القلبارية:** وهي رحلة رئيس الجمهورية التونسية "أرمان قليار" إلى تونس، ولقد حرصت الإدارة العليا على توزيع كتابي الرحلتين المحررين بأسلوب بسيط ومزاجي في متناول الجمهور المثقف في كامل أنحاء شمال إفريقيا الأمر الذي زاد من شهرة المؤلف.

إضافة إلى كل ذلك قدم إلى مؤتمر الشمال الإفريقي المنعقد بباريس سنة 1908م عدة بحوث حول القضاء الشرعي في الإسلام ونظام التعليم بجامع الزيتونة، متبوعة ببعض الملاحظات والاقتراحات التي أثارت إعجاب المؤتمرين.